17 em Année No. 820

Lundi — 21 — 3 — 1949

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين

رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العـــــدد ٨٢٠ « القاهرة فى يوم الاثنين ٢٠ جمادى الأولى سنة ١٣٦٨ — ٢١ مارس سنة ١٩٤٩ » السنة السابعة عشرة

هل الشقاق طبع فى العرب ؟

جواب عن سؤال

للأستاذ أبى خلدون ساطع الحصري بك

(بقية ما نشر فى العدد الماضي)

وأما ما ذكرتموه عن رأى ابن خلدون فى هـذه القضية ، فهو أيضاً فى حاجة إلى إنعام النظر .

فقد نقلتم الفقرات التالية ، من مقدمة هذا المفكر العظيم :

« والعرب أصعب الأمم انقياداً بعضهم لبعض ، للغلظة والأنفة وبعد الهمة والمنافسة فى الرياسة ؛ فقلما تجتمع أهواؤهم . من أجل ذلك لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر من الدين على الجملة » .

أنا أعرف أن ابن خلدون أبدى هـذا الرأى فى مقدمته المشهورة ، ولكنى أرى من الضرورى أن نفطن جيداً إلى مايقصده من كلمة العرب الواردة فى هذه الفقرات ؛ ثم نبحث عن نصيب رأيه هذا من الصحة والصواب .

من الأمور التى يجب أن تبقى نصب أعيننا على الدوام — حين نقرأ مقدمة ابن خلدون ونستشهد بها — أن مؤلفها كان يقصد من كلمة « العرب » العربان بوجه خاص وفقاً لما هو متعارف بين العوام — ؛ ولم يقصد قط أفراد الأمة العربية بوجه عام كما نفهمها ونتصورها نحن الآن .

إننى سردت الأدلة الكثيرة التى تبرهن على ذلك برهنة قاطعة فى عدة مقالات نشرتها فى بيروت وبغداد وفى فصل خاص من الدراسات التى كتبتها عن مقدمة ابن خلدون ، ولا أرى لزوماً إلى إعادة تلك البراهين والأبحاث فى هذا المقام . ولما كانت الدراسات المبحوث عنها قد نفدت ، رأينا أن ننقل هنا نموذجين من البراهين المسرودة فيها ، وقد انتخبنا أحدها من القسم الأول من المقدمة ، والثانى من القسم الأخير منها ، قلت :

« فلنلاحظ الفصل الذى يقول فيه ابن خلدون « إن العرب إذا تغلبوا على أوطان أسرع إليها الخراب » ولنمعن النظر فى الأدلة التى يذكرها لتعليل رأيه هذا :

« فغاية الأحوال العادية كلها عندهم الرحلة والتقلب ، وذلك مناقض للسكون الذى به العمران ومناف له . فالحجر مثلا إنما حاجتهم إليه لنصبه أثافى للقدر فينقلونه من المبانى فيخربونها عليه ، ويعدونه لذلك . والخشب إنما حاجتهم إليه ليعمروا به خيامهم ويتخذوا الأوتاد منه لبيوتهم فيخربون السقف عليه .. »

(ص ١٤٩) .

ومن البديهى أن مدار البحث هنا لا يتعدى البدو الذين يعيشون تحت الخيام . ولا مجال للشك فى أن ابن خلدون عندما كتب هذه العبارات وقال « لا يحتاجون إلى الحجر إلا لوضع

القدور ، ولا إلى الخشب إلا انصب الخيام » لم ينكر قط فى أهل دمشق أو القاهرة ، ولا بسكنة تونس أو فاس . إنما قصد أعراب البادية وحدهم . وقال :

« وقد كنا قدمنا أن الصنائع من منتحل الحضر ، وأن العرب أبعد الناس عنها . وصارت العلوم لذلك حضرية ، وبعد العرب عنها وعن سوقها » (ص ٥٤٤) .

يلاحظ أن ابن خلدون يذكر هنا كلمة العرب صريحة مقابلا لكلمة الحضر ، بشكل لا يترك مجالا للشك فى أنه يقصد منها البدو على وجه التخصيص ويخرج من نطاق شمولها الحضر على الإطلاق . غير أنى أرى من الضرورى أن ألفت الأنظار إلى موضع الفقرات الآنفة الذكر من أبحاث المقدمة : إن تلك الفقرات مستخرجة من الفصل السابع والعشرين من الباب الثانى ؛ وعنوان الباب المذكور هو : « العمران البدوى والأمم الوحشية والقبائل وما يعرض فى ذلك من الأحوال » . وذلك أيضاً يدل على أن ما جاء فى هذه الفقرات ينصب على الذين يعيشون فى حالة البداوة ، ولا يشمل الذين يعيشون فى المدن . ومن المعلوم أن أحوال المدن والدول تكون موضوعات البابين الثالث والرابع من المقدمة . والفقرة الآنفة الذكر لا تدخل فى نطاق البابين المذكورين .

وبناء على كل ما تقدم يحق لنا أن نعبر عن رأى ابن خلدون فى هذه القضية — وفق أسلوب كلامنا الحالى — بالعبارات التالية : « إن العرب - عندما كانوا فى حالة الفطرة والبداوة — لم يستطيعوا أن يؤلفوا دولة ويؤسسوا ملكا ، إلا عندما تأثروا بدين أو ولاية تزيل عنهم التحاسد والتنافس ، وتحملهم على الانقياد والاجتماع » .

ومن الغريب أن كلمات ابن خلدون فى هذا المضمار — عندما تفرغ فى هذا القالب — تصبح موافقة تمام الموافقة للنظرية التى توصل إليها علماء الاجتماع فى العصر الحاضر عن منشأ الملك بوجه عام : لأن أصحاب هذه النظرية يقولون إن الممالك لم تتكون فى بادىء الأمر إلا بفضل المعتقدات الدينية .

إن الأبحاث التى قام بها عدد كبير من العلماء والمفكرين — مستندين إلى المعلومات التى جمعوها عن أحوال الأقوام البدائية من جهة ، وعن تواريخ الدول القديمة من جهة أخرى — قد أوصلتهم إلى هذه النظرية . فقالوا : إن تكون الجماعات السياسية الكبيرة والممالك العظيمة ، فى القرون القديمة ، لا يمكن أن يفسر إلا بتأثير الاعتقادات الدينية ، على اختلاف أنواعها وأطوارها . فالاعتقاد بقوى خارقة للمادة — من الاعتقاد بالقوى السحرية إلى الإيمان بالقوة الإلهية — هو الذى مهد السبل إلى تكون الجماعات الكبيرة واستقرار الحياة السياسية .. فى أطوار البداوة والهمجية .

وقد كتب الباحث الإنكليزى المشهور « فرايزر » كتاباً ضخماً ضمنه أمثلة وبراهين كثيرة ، تدل على أن الملكية نشأت من الاعتقادات السحرية : كان الناس يخضعون الملك ، لاعتقادهم بأنه يتمتع بقوة سحرية ، وكانوا يرون من الطبيعى أن يخلفه ابنه ، لاعتقادهم بأن هذه القوة السحرية تنتقل منه إليه .

وقد برهن المؤرخ الفرنسى المشهور « فوستل دو كولانثر » — فى كتابه « المدينة القديمة » — أن الحياة السياسية عند اليونان والرومان أيضاً قامت على بعض الاعتقادات والعبادات .

وقد لاحظ جميع المؤرخين أن الاعتقادات الدينية لعبت دوراً هاماً فى سياسة دول القرون الأولى . والاعتقادات الدينية السياسية اجتازت مراحل عديدة ومتنوعة : الملك إله ... الملك ابن الإله ... الملك من نسل الآلهة ... الإله يتقمص جسد الملك ... الإله ينفخ فى الملك شيئاً من روحه ... الإله يمد الملك بالهاماته ... هذه أشكال مختلفة — وأطوار متتالية — من الاعتقادات التى كانت تربط الملكية بالدين ، وتساعد على جمع طوائف كبيرة من الناس تحت إدارة واحدة فى تلك القرون القديمة .

أنا لا أرى هنا مجالا لذكر الأمثلة والبراهين والنصوص التى تؤيد هذه النظرية . ولذلك سأكتفى بالإشارة إلى كتاب « تيارات التاريخ العالمى العظيمة » الذى نشره أخيراً « جاك بترن » أستاذ التاريخ فى جامعة بروكسل . تصفحوا المجلد الأول من هذا الكتاب القيم ، (وهو المجلد الذى يلخص التطورات التاريخية التى حدثت فى العالم منذ القدم حتى ظهور الإسلام) ،

تجدوا في كل فصل من فصوله تقريباً بعض الأبحاث التي تنم عن الترابط المتين الذي كان قائماً في تلك العصور القديمة بين تطور الحوادث السياسية وبين تقلب المعتقدات الدينية .

لا شك في أن الحروب كانت تلعب دوراً أساسياً في توسع الممالك وتكون الامبراطوريات : فإن ملك قطر من الأقطار يستولى على مدن وأقطار أخرى بقوة السلاح ، ويوسع حدود ملكه عن طريق الفتوح العسكرية . غير أن نتائج هذه الفتوح ما كانت تدوم وتستقر ، إلا إذا دعمها شيء من التفاعل والتزاوج والتلاقح بين معتقدات البلاد الفاتحة وبين معتقدات البلاد المفتوحة ، وهذا التفاعل كان يأخذ أشكالا مختلفة : تارة كان الاعتقاد ينتشر بأن آلهات جميع تلك البلاد لا يختلف بعضهم عن بعض إلا بالأسماء ؛ فكان يصبح الملك ممثلا لآلهة البلاد الفاتحة والمفتوحة على حد سواء . وطوراً كان يتولد الاعتقاد بأن إله الملك الفاتح هو الإله الأكبر . وأما آلهة البلاد المفتوحة فهي من أتباع ذلك الإله الأعظم ... وعلى كل حال كانت هذه المعتقدات — وأمثالها من المعتقدات المتنوعة — تساعد إلى حد كبير على خضوع أهالي البلاد المفتوحة للحكم الجديد خضوعاً نفسياً ، فكانت تقلل أو تزيل الحاجة إلى استعمال القوة والقسوة لإدامة ذلك الخضوع .

ولا أراني في حاجة إلى القول بأن أمثال هذه المعتقدات الدينية السياسية ، ما كان يمكن أن تدوم بعد انقضاء عهود الوثنية القديمة ، ومع هذا أرى من الضروري أن أشير إلى نظرية « سياسية دينية » سادت على الأذهان في أوروبا — في عهد تكون الممالك — حتى القرن الثامن عشر : وهي النظرية القائلة « بأن الملوك يحكمون بتفويض من الله » . ومما لا مجال للشك فيه أن هذه النظرية كانت بمثابة « الأصداء الأخيرة » لتلك المعتقدات القديمة التي شرحناها آنفاً .

وخلاصة القول أن الأبحاث التاريخية والاجتماعية تدل دلالة قاطعة على أن خضوع الناس إلى أحكام السلطات ، لم يتيسر في بادىء الأمر — إلا بفضل المعتقدات الدينية .

ويظهر من ذلك — بكل وضوح — أن ما قاله ابن خلدون في مقدمته المشهورة ، عن العرب في طور البداوة ، لا يختلف عما يقوله العلماء والمفكرون المعاصرون عن الأمم القديمة بوجه عام .

فنستطيع أن نقول — بكل تأكيد — أن تاريخ العرب لا يشذ عن تواريخ سائر الأمم ، من هذه الوجهة أيضاً .

* * *

بعد هذه النظرات الانتقادية التي وجهناها إلى المقدمات التاريخية ، يجدر بنا أن نرجع إلى السؤال الأصلي ، لنرى : هل الشقاق طبيع في العرب ؟

إن المقارنات التي قمنا بها آنفاً بين تاريخ الأمة العربية وبين تواريخ الأمم الأخرى من وجهة الشقاق ، تسهل علينا الإجابة عن هذا السؤال إجابة مبنية على قياس صحيح واستقراء تام .

إن الشقاق وليد الأنانية ، والأنانية طبع غريزي في الإنسان ، وجماح هذه الأنانية لا يكبحها إلا التربية الاجتماعية المتينة ، والتشكيلات الحكومية القوية ، والنزعة المثالية الفعالة ، والإيمان الديني أو القومي أو الوطني العميق .

ففي كل أمة من أمم الأرض ، وفي كل دور من أدوار التاريخ يظهر أناس تتغلب في نفوسهم الأنانية على العوامل التي ذكرناها آنفاً ، ولكن الرأي العام من جهة ، والقوانين الموضوعة من جهة أخرى ، تعاقب هؤلاء وتعزلهم عن المجتمع بصور شتى ووسائط متنوعة ، وتجعلهم عبرة للآخرين ، فتحول بذلك دون استفحال هذه الأنانية وانتشارها بين الناس .

غير أنه يأتي أحياناً في كل أمة من أمم الأرض بعض الأدوار من التاريخ تضعف فيه هذه القوى الوازعة فتنفلت الأنانيات من عقالها ، ويتضاءل تأثيرات الرأي العام فيها ، فتقل سلطة الحكومات عليها ، وكل ذلك يؤدي إلى ازدياد الشقاق وانتشار الخلاف بين الناس .

هذا ما حدث ، وما يحدث ، وما سيحدث في كل أمة من الأمم ، وفي جميع أدوار التاريخ .

وليس في طباع العرب ما يجعلها شاذة عن سائر الأمم في هذا المضمار .

هذا هو جوابي ، يا صديقي الأستاذ ، عن السؤال الذي وجهتموه إلي .

لا يوجد في طباع الأمة العربية ما يجعلها شاذة عن سائر

الأمم فى أمر الاتفاق والانشقاق .

يجب علينا أن نعرف ذلك حق المعرفة ، كما يجب علينا أن نعتقد اعتقاداً جازماً بأن طبائع الأمم لا تبقى على وتيرة واحدة على مر العصور . وقد صدق من قال : « إن من يتوهم الاستقرار فى طبائع الأمم كمن ينشد البقاء فى الموجات التى تحدث على سطح الماء عند ما ترمى حجرا فيها » .

فإن الماضى لا يقيد الحال تقييداً مطلقاً . وتحقق الوحدة والاتفاق فى الماضى لا يكفى لدرء أخطار التفرقة والشقاق فى الحال ، كما أن حدوث التفرقة والشقاق فى الماضى لا يمنع الاتحاد فى المستقبل .

فيجب علينا أن نتخلص من نزعة الانشغال بالماضى كثيراً ، وأن نقلع عن الالتفات إلى الوراء دائماً . فلا يجوز أن نحاول تبرير مساوئنا الحالية بنقائص أسلافنا الأقدمين ، ولا أن نسعى لإلقاء مسئولية نكباتنا على عاتق تاريخنا القديم ، ولا يسوغ لنا — على وجه خاص — أن نستسلم إلى دواعى الخور والكسل ، وأن نتقاعس عن الكفاح والعمل ، بحجة أن الحالة الحاضرة نتيجة حتمية لطبائع الأمة ولمجرى تاريخها العام .

إننا لم نستجمع قوانا المادية والمعنوية ، ونحشدها لتحقيق هدفنا الأسمى ، بل إنما عملنا بتراخ وتردد بدون عزم قوى وتنظيم متين وإيمان عميق ، فأضعنا بذلك فرصاً كثيرة ،

ومهما يكن الأمر ، يجب علينا أن لا نقطع الأمل فى النجاح فى المستقبل ، وأن لا نتأخر عن إعادة الكرة بإيمان أعظم ، إذ يجب علينا أن لا ننسى أنه ما من أمة وصلت إلى الكمال الذى تنشده إلا بعد أن اجتازت عقبات كثيرة ، وذاقت مرارة الفشل مرات عديدة ، واضطرت إلى تضحيات كبيرة .

إن الأمم الحية الوثابة تتعظ بالنكبات فتندفع إلى العمل وتواصل الكفاح بحرارة أشد وعزم أمتن ، كما أنها تنفض من الفشل وتستفيد من دروسه فتعيد الكرة لتضمن النجاح ولو بعد حين .

وأستطيع أن أقول : إن الإيمان القوى العميق بإمكانيات أمتنا ، والعمل الحازم المتواصل لتحقيق غايتنا ، والاستعداد التام للكفاح مصحوباً بروح التضحية الحقيقية ، ومدعوماً بالأمل الذى لا يقهر !

* * *

، وكأنى أسمع

سلسلة أسئلة اعتراضية تقابل ما قلته آنفاً :

؟ ألا تلاحظ فظاعة الاختلافات

التى تهز كيان جامعة الدول العربية هزاً عنيفاً ؟ ألا تشعر بالأخطار التى صارت تهدد مستقبلنا فى عقر دارنا ؟

بلى ، إنى أدرك وأشعر وألاحظ كل ذلك إدراكا تاماً وشعوراً عميقاً وملاحظة دقيقة ، وأتألم من كل ذلك ألماً شديداً .

روســـيا والسلم

للأستاذ عمر حليق

هنـاك تعليلان فى رأى (ماكس بيلوف)[1] للأسباب التى دعت موسكو مؤخراً لأن تحمل غصن الزيتون وتواجه خصومها حلفاء الغرب أمام الرأى العام العالمى بأنهم دعاة حرب لا يرضون الدخول فى مفاوضات مباشرة لتدعيم السّلم فى هذا الجو الذى ازداد توتراً .

أما التعليل الأول فيقول بأن روسيا جادّة فى حملتها السلمية الأخيرة ، وأن التحطيم الذى أصاب المدن والمساكر الروسية فى الحرب المنصرمة هو تحطيم طاحن لا يزال هوله يسيطر على مخيلة الشعب الروسى فهو يخشى الحرب حقاً ويبغى السلم ، وأن حالته النفسانية هى كحالة معظم سكان أوربا الذين نالتهم المجزرة الأخيرة وبلائها . ولذلك فإن هذا التعليل يجد من يؤمن به من الأوربيين خصوصاً أتباع الأحزاب اليسارية التى تميل إلى مسايرة السوفيات.

ويقول أنصار هذا التعليل كذلك أن العقلية الروسية ليست عقلية عسكرية كعقلية الشعوب الجرمانية ، ولذلك فإن حرباً طاحنة كالحرب المنصرمة كانت كافية لأن تزيل غشاوة العنف والغطرسة العسكرية عن أعين الروس فتجعل رغبتهم فى السلم حقيقية .

أما التعليل الثانى فيقول إن مراكز التوجيه فى قيادة روسيا السوفياتية اليوم فى يد جماعة من المتهوسين وهم مسؤولون عن مسلك موسكو الحالى فى العلاقات الدولية ، وأن ستالين هو أسير هذه الجماعة التى منها مولوتوف وزير الخارجية وكبار قادة الجيش السوفياتى . وأنه لو تسنى لأحد أن يخترق هذا الحصار المضروب على ستالين — كما فعل عدد من الصحفيين الأجانب فى موسكو مؤخراً — لوجد أن لديه استعداداً حقيقياً للسلم . ويبدو لى أن المستر ترومان ومستشاريه الخصوصيين فى البيت الأبيض من أنصار هذا الرأى . فهم يعتقدون خطأ أو صوابا بأن ستالين رجل « طيب القلب » على حد تعبير ترومان يرغب فى السلم لو تخلص من أسر (البوليت بيرو) المكتب السياسى الأعلى للاتحاد السوفياتى .

هذان هما التعليلان اللذان يقومان لتفسير حملة السلم التى صدرت عن القيادة الشيوعية الدولية فى الأسابيع الأخيرة .

ولنا أن نتساءل أولا : هل الروس راغبون فى السلم حقاً ؟ وإذا اقتنع حلفاء الغرب بهذه الرغبة ، فلماذا لا يعدون يدهم للروس لتدعيم السلام فى نية صادقة ؟

والجواب على هذا التساؤل صعب . فإن تاريخ السوفيات فى روسيا يشير إلى سرعة التقلب فى سياسة روسيا الخارجية عند ما تتطلب منها الظروف ذلك . وخير مثل على ذلك اتفاق روسيا وألمانيا النازية فى مطلع الحرب العالمية الثانية بالرغم مما فى المذهبين (الشيوعى والنازى) من التناقض والمعاداة والتنافس . ومن أبرز الأمثلة على التقلب موقف الشيوعية السوفياتية من الصهيونية التى وصفها ستالين فى كتاب (الماركسية ومشاكل

(١) أستاذ النظم المقارنة فى جامعة اكسفورد .

وهل كان فشل مؤتمر فرنكفورت فى ألمانيا — قبل قرن واحد من يومنا هذا — أقل خطراً من فشل مجلس جامعة الدول العربية هذه السنة ؟ ألم يقل بعض الساسة — عقب انحلال المؤتمر المذكور — « أن الألمان فقدوا حتى قابلية الدفاع عن أنفسهم ؟ » ألم يتساءل بعض الكتاب عندئذ قائلين : « أين هى ألمانيا ؟ هل لها وجود فى غير مخيلة بعض الشعراء ، وأحلام بعض رجال السياسة » ؟ ومع كل ذلك ، ألم تتحقق وحدة ألمانيا فى حياة الكثيرين ممن حضروا مؤتمر فى نكفورن الفاشل ؟

وبناء على هذه الملاحظات أقول بلا تردد : لا يجوز لنا أن نترك مجالا لتسرب الخور والقنوط إلى أنفسنا . ويجب علينا أن نعلم علم اليقين : أن النكبة لا تصل إلى حدها الأقصى إلا عندما تثبط العزائم ، كما أن الفشل لا يصبح تاماً إلا عندما يؤدى إلى التقاعس عن مواصلة العمل والكفاح ...

فعلينا أن نحذر كل الحذر من العمل على زيادة النكبة وإتمام الفشل .. بالاستسلام إلى القنوط والخور ...

أبو خلدون ساطع الحصرى

الأقليات والاستعمار) الذى صدر سنة ١٩٢٠ بأنها « حركة رجعية انتهازية ، وأنها وليدة الاستعمار الغربى » . وقد كانت الصهيونية محرمة فى روسيا ومضطهدة إلى ما قبل بضع سنوات (عام ١٩٤٣) ، وكانت تحارب فى السر والعلانية . قارن هذا الموقف الروسى بحاضر العلاقات بين موسكو ويهود فلسطين والتحالف السوفياتى الصهيونى تر عنصر هذا التقليد الانتهازى فى سياسة السوفيات الخارجية . وهو فى الواقع تقلب لا تخلو الدبلوماسية الدولية إجمالاً منه وإن كان يبدو عادياً فى سلك السوفيات .

فقد تكون إذن حملة السلام الروسية الجديدة خطوة انتهازية جديدة يتطلبها الموقف الدولى ، دفع إليها حمل الشعوب فى المعسكر الغربى على الحد من برامج التسلح الهائلة التى تندفع الآن دول الحلف الغربى فى تنفيذها . والضرب على وتر السلام الحساس فى البلدان الديمقراطية خصوصاً فى الولايات المتحدة يجد صداه فى مجتمع يشكو من ارتفاع الضرائب التى تتطلبها هذه الالتزامات الضخمة التى تفرضها مشاريع مارشال وشريعة ترومان والبرنامج الجديد لتوسيع هذا النوع من الحرب الاقتصادية فى بلدان الشرق والقارة الأفريقية وأمريكا اللاتينية .

هذا بالإضافة إلى أن حدة الموقف الدولى تفرض تعاونا وثيقاً بين بريطانيا وأمريكا ، فإذا خفت هذه الحدة وشاعت الرغبة فى السلام التى تذكيها حملات ماهرة كحملات الشيوعية الدولية فإن هذا التعاون الإنجلوسكسونى سيفتر بينما تمضى روسيا قدماً فى برامجها المنظمة التى تنفذ — فى ظل الاقتصاد الماركسى الموجه — بتحالف ثنائى فى مجال الاقتصاد والاستعداد العسكرى فى القارة الروسية على الأقل .

فمن خبراء الشؤون الروسية إذن من يقول بأن هذه الخطوة الروسية السلمية ليست إلا تكتيكا لا يستر حقيقة المقاصد والغايات . ويؤكدون بأن رسوخ النظام السوفياتى فى روسيا اليوم ورسوخ العقيدة الماركسية فى أدمغة حملتها تجعل التقلب فى التصريحات والسلك الخارجى أمراً سهلاً يستطيع الروس اللجوء إليه دون أن يبدلوا حقيقة سياستهم من خصومهم ومن برامجهم الواقعية لبلشفة العالم . ولنا فى الصهيونية مثل على هذه الحقيقة .

فكلنا يعلم كيف أن الأحزاب والجماعات اليهودية فى فلسطين والعالم إجمالاً كانت ولا تزال تتوخى هدفاً واحداً هو السيطرة على نقطة التركز فى الشرق الأوسط ، وأن السياسة الصهيونية كانت ولا تزال تتقلب تبع الظروف الطارئة ، فمرة وطن قومى ، ومرة حكم ذاتى ، ومرة تقسيم محدود بدون شرق الأردن ، وبعد ذلك — حين تواتى الظروف — أرض الميعاد بحدودها الطبيعية وهى تشمل أجزاء من مصر وسوريا والعراق ولبنان . فوايزمان كتاين كان ولا يزال يتلاعب بتصريحات تتلاءم مع الظروف الحالية . والمتتبعون لتطور السلك الصهيونى يدركون ذلك تمام الإدراك .

فالتقلب فى سياسة روسيا الخارجية ، يعود إلى ثقة صناع السياسة فى الاتحاد السوفياتى من رسوخ النظام الذى يسوسونه خصوصاً وأن وسائل المواصلات الفكرية بين الشعب الروسى والعالم الخارجى خاضعة لرقابة توجيهية دقيقة يتولاها خبراء مهرة مما يجعل للتصريحات الروسية الرسمية طابعين : طابعا للاستهلاك الخارجى ، وآخر للداخلى . وليس من الضرورى أن يتناسق الطابعان . وهذا فى الواقع سلك تقليدى فى الدبلوماسية الدولية ، ولكنه لا يتخذ طابع الاتقان الذى يتخذه فى ظل الحكم السوفياتى المطلق .

وعلى أساس هذا الاستقرار فى النظام الشيوعى فى روسيا كان خبراء الانجلوسكسون يعتقدون بأن برامج (البوليت بيرو) (والكومنفورم) الشيوعية الدولية لبلشفة العالم كهدف أساسى جوهرى لتدعيم الشيوعية فى روسيا والدول الشيوعية الأخرى — هذا البرنامج لا يزال موضوع العمل عند السوفيات ، وعلى هذا الأساس ، فلا صحة لادعاء الماركسيين الأخير بأن الشيوعية والرأسمالية والنظم الأخرى تستطيع أن تعيش بسلام فى عالم واحد

والحقيقة التى يشير إليها هؤلاء الخبراء (ومنهم بوهلن مستشار وزارة الخارجية الأمريكية) هى أن جوهر الفلسفة الماركسية يصر على أن لا حياة للدول والشعوب الشيوعية المبدأ والنظام فى عالم فيه شعوب ودول لا تدين بهذا المبدأ . وهذا الإصرار الماركسى يستند إلى نظريات فى الاقتصاد وعلم الاجتماع تحللها العقيدة الماركسية على طريقتها الديالكتيكية الجدلية ،

وليس المجال هنا لبحثها .

إذن فإن دعوة للسلم تأتى من جانب السوفيات هى فى الواقع اكتساب للوقت ، وعرقلة برامج التسلح ، وإثارة الوقيعة بين خصوم حلفاء الغرب وهذه جميعها — ككل خطوة من خطوات السوفيات — تستند إلى تحليلات علمية — علمية لأنها مستمدة من السياسة الروسية النظمة — وهى كالاقتصاد الموجه ومشاريع الخمس سنوات الاقتصادية تلتزم الدقة وتؤمن بالنتائج على أساس هذه الدقة .

وعلى أسس هذه السياسة الموجهة فإن السوفيات يعتقدون بأن كل مجتمع لا يدين بالشيوعية ولا يسير بموجب الاقتصاد الماركسى الموجه مآله إلى التفكك ، فهناك مشاكل التضخم المالى وبلبلة التوازن التجارى وصراع العمال وأصحاب العمل مما يخلق مشاكل اقتصادية واجتماعية تؤدى إلى الثورة العمالية وتطرح بالنظم الرأسمالية فى المراحل النهائية .

ولما كانت روسيا غير مستعدة الآن للحرب استعداد خصومها فمن الخير إطالة مدة الاستعداد وإيهام الدول الرأسمالية والرأى العام الدولى بالرغبة الصادقة فى السلم، وفى ذلك مكسب مزدوج ؛ فهو يحقق النبوءة الماركسية فى تفكك المجتمع الرأسمالى — كما تشير علانية إلى ذلك الدراسات السوفيانية للاقتصاد الأمريكى المعاصر — وهو يعطى روسيا متسعاً من الوقت للاستعداد .

والماركسية فوق ذلك تعتقد بأن طبيعة المجتمعات الرأسمالية متنافسة تسعى لالتهام بعضها البعض — وهذا التنافس أصيل منبعثه طبيعة النظم الاقتصادية على ظل الرأسمالية (والاشتراكية الغربية كبريطانيا ليست ماركسية حقة عند السوفيات) ولذلك فإذا نجحت روسيا فى تخفيف حدة الموقف الدولى استطاعت أن تسبب فتوراً فى شدة التحالف الأمريكى البريطانى وتترك النظم الرأسمالية تكتسب طبيعتها التنافسية فيقوض بعضها البعض بدل الاتحاد على تقويض الروس بأى ثمن .

ويستنتج من هذا كله — والاستنتاج نظرى فى أكثره — أن روسيا تعلم بأنها عاجزة الآن عن الكفاح المسلح لتعميم المذهب الشيوعى فى كل مكان على أنقاض النظم والمجتمعات التى لا تؤمن بالماركسية — وهذا العجز قصور عن مجاراة المستوى الصناعى والقوة والدعامة المالية المتوفرة فى المعسكر الغربى فى الآونة الحالية على الأقل — وأنها تنهج سياسة عاجلة مؤقتة لتحقيق الحدة فى معسكر الخصم عن طريق التلويح بغصن الزيتون .

وفوق ذلك فقد تكون تجربة المارشال تيتو فى يوغسلافيا حيث مازج بين القومية المحلية الضيقة وبين النظام الماركسى ، وماإشاع من أن الشيوعيين الصينيين ينوون الاقتداء بتيتو — هذه التجربة جعلت موسكو ترى أن المجتمعات الشيوعية خارج الاتحاد السوفيانى قد لا تقبل الرضوخ مباشرة للكومنفورم والبوليت بيرو وإن كانتا تشبهانها فى الاتحاد الفكرى والأهداف . فإن النظام السوفيانى فى روسيا قد جمعت من القيصرية الروسية الصارمة مجتمعاً روسياً يستسلم بسهولة للحكم المركزى المطلق . وهذه حالة فريدة قد لا تنطبق على كثير من المجتمعات الأخرى خصوصاً فى أواسط أوروبا وشرقيها حيث تكثر الأقليات العنصرية والطائفية وعداؤها للحكم المركزى تقليدى . والواقع أن لينين وستالين قد أوليا مشكلة الأقليات دراسة وافية .

وهذه — كما ترى — حالات تصعب معالجتها على يد موسكو فى جو دولى متوتر ، ولذلك فإن مراكز التوجيه فى معسكر حلفاء الغرب تنظر إلى غصن الزيتون الذى حملته موسكو فى الآونة الأخيرة على أنه مناورة بارعة فى الصراع الدولى لا يلاق رد فعل إيجابى لدى حلفاء الغرب .

وهذا يعنى أن مشاكل السلم الحقيقية لا تزال على ما هى عليه من الخطورة السريعة الانفجار .

(نيويورك) عمر حليق

معهد الشؤون العربية الأمريكية فى نيويورك

صور من الحياة :

فـــتى من الريف

للأستاذ كامل محمود حبيب

قال صاحبي : جئت إلى القاهرة — أول ماجئت — لألتحق بالأزهر ، وكانت أمي قد نذرتني للقرآن ، ونذرني أبي للعلم ؛ فأنا وحيدهما ، وأنا أمنيتهما على الله حين أحسا بالوحدة وقد خلت الدار من الحياة والحركة لأنها خلت من مرح الطفولة وجمالها ، وحين شعرا بأن تاريخهما على الأرض يوشك أن ينبتّ فما لهما ولد ، وحين عاشا زماناً يجدان لذع القحط والجفاف ، جئت إلى القاهرة وأنا فتى ريفي لا أعرف المدينة إلا ممنى يقع على أوتار أذني موقع النغم الموسيقي العذب ، فينجذب له قلبي وتنبسط أساريري ، ثم رأيتها فإذا هي نور يخطف البصر ، وحركة يتفزّع لها القلب ، وثورة يحار لها الفؤاد ، وحياة دائمة مضطربة لا تنام ولا تخبو . وبدت عليّ سمات الحيرة والارتباك ، فإنه ليزعجني أن أسير في الشارع خيفة المدنيّ أن يمكر بي وله أفانين شيطانية تسخر من بساطة الريفي وسذاجته ، وخيفة السيارة أن تصفعني ومالي عهد بأساليب الحيطة والحذر ، وخشية الترام أن يحطمني وبه نهم دائم إلى لحم البشر يتأرّث ولايشبع . ليتني كنت أستطيع أن أغدو وأروح في شوارع القاهرة أتهادى في مشيتي ، وأختال في جبتي ، وأنخر بعمامتي ، وتحت إبطي محفظة بها وريقات سفر لا أعي مما فيها حرفاً !

وكان أبي — رحمه الله — قروياً ، نشأ وتربى في الريف لا يبرحه إلا لماماً ، اتسم بسماته وانطبع بطابعه ، والريف ينفث في بنيه روح الكسل والتواكل ، فهو يقضي ساعات الشتاء يستمتع بالدفء والفراغ ، ويطوي عمر الصيف يستروح النسمات الهينة اللطيفة في ظل شجرة ، يجلس إلى رفاقه على المصطبة يتجاذبون أخبار القرية ، أو يتربعون على الثرى يلعبون السيجة ، أو يعقدون المجالس الصاخبة يشربون الشاي الأسود . ولا همّ له — من بعد — إلا أن ينظر — بين الفينة والفينة — إلى النبت وهو يتسرب من بين الثرى لينمو رويداً رويداً ، وإلا أن يرقب البهائم وهي ترعى البرسيم في هدوء وعلى مهل . وسكن أبي إلى هذه الحياة وهي تنطوي على نسق واحد ، فأصبح لايطيق صخب المدينة ولا يصبر على ضجتها . ولكنه ما يستطيع أن يقذف بي إلى القاهرة وحيداً ، وهو لا يطمئن إلى واحد من شباب القرية وطلابها ممن تزخر بهم المدينة لأن فيهم الغفلة والطيش ، ومرت الأيام وأبي لا يستقر على رأي

ثم عهد بي أبي — بعد لأي — إلى الشيخ فهمي وهو شيخ كبير من شيوخ القرية ، نيف على الخمسين ولما يبرح طالباً في الأزهر ، يأتي إلى الجامع بين الحين والحين ، يجلس إلى أستاذه ساعة أو بعض ساعة ، ثم ينقلب إلى القرية في غير تمهل ولا تلبث . وهو حريص على أن يظل طالباً في الأزهر على رغم أنه لايطمئن إلى حلقة الدرس ، ولا يُعنى بالقراءة والمطالعة ، ولا يأخذ نفسه بالمذاكرة والحفظ ، وهو ضنين بمسكنه في القاهرة ، وهو حجرة ضيقة قذرة ، لا تتنسم هبّات الهواء النقي ، ولا تغتسل بأشعة الشمس الدافئة ، ولا ينفتح جفناها على نور ، ولا ينتفض عن جنباتها الغبار ، عطِلتْ من الأثاث إلا من حصيرة بالية لا تكاد تستر أرض الحجرة ، وإلا من مخدة ولحاف مشت عليهما أحداث الزمن فتركتهما مزقاً لا تتماسك ، وإلا من صندوق ضم أشتاتاً من حاجات الطالب العزب ، مبعثرة متناثرة في غير عناية ولا ترتيب : ففيه الخبز والغموس ، وفيه اللباس والمنشفة ، وفيه الكوز والإبريق ، وفيه ... وفيه الكتاب والحذاء ، وإلا من زير مهجور في ناحية وإلى جانبه موقد ... وعاش هذا الشيخ بين القرية والقاهرة ، وانطوت السنون فما أفاد علماً ولا أصاب عقلا ولا بلغ غاية ، غير أنه عرف مسارب القاهرة ومنعطفاتها .

وتنازعتني عاطفتان متناقضتان نحو هذا الشيخ — رائدي — فأنا أطمئن إليه لأنه يكشف أمامي الطريق ، وينير لي متاهات القاهرة ومضلاتها ، وغداً يفتح أمامي باب الأزهر فأدخله لأول مرة وعلى شفتي ابتسامة وعلى هامتي كبرياء ، أدخله طفلا يستشعر الرجولة الباكرة والشباب المتوثب والرزانة المتكلفة ، وغداً يريني شيخي وهو في رأي عيني لا يبذني بشيء سوى لحيته البيضاء المرسلة التي تبعث في من حواليه المهابة والاحترام والخوف ، وأنا

— إلى ذلك — أمقته لأنني أحس فيه معنى من معاني جهلي ، وعلامة من علامات ضعفي ، فأنا لا أستطيع أن أتبين طريقي إلا حين يسير إلى جانبي . وأنا أحتقر عقله ، فكيف يبلغ هذه السن وهو ما يزال طالباً لم يظفر بالشهادة ولا بلغ مبلغ العلماء ! وأكره رجولته وهي قد تضاءلت في ناظري حين دخلت الحجرة التي يسكن فوجدتها على تفاهتها وقذارتها تضطرب في غير نظام ، وتموج بدوبيات الأرض . وأبغضه حين يتكلف العطف ويتصنع الحنان ، وهو لا يحس شيئاً من هذه العاطفة ، فهو رجل قفر ممحل ، عزب لم يشهد معنى الأبوة ، ولا ذاق لذة الابن !

وأراد والدي أن يغريني بأن أتخذ من حجرته مسكناً فما رضيت ، وكيف أفعل وأنا قد رأيت « السام الأبرص » يدرج على جدرانها فسرت الرعدة في مفاصلي ، وإني لأخاف هذه الحشرة وأبغضها وأتفزع لرؤيتها . هذه الحجرة قد بعثت في الانقباض والضيق ، واستشعرت لدى بابها أن خواطري الجميلة قد انهارت كلها ، خواطري التي حاكها خيالي منذ أن غادرت القرية ، ومنذ أن هبطت القاهرة لأرى الحياة والحركة والنور . أين النور المتدفق وهو يغمر الشوارع والمنعطفات ويسيل من النافذ والأبواب ؟ أين ضجة الحياة وهي تصاعد صيحات تهتز لها أرجاء السماء ؟ أين النشاط والحركة ؟ أين المرح والسعادة ؟ لقد توارى كل أولئك خلف جدران هذه الحجرة . يا عجبا ! كيف يعيش الظلام إلى جانب النور ، ويطمئن الهدوء إلى جانب الضجة ، ويحيا الصمت إلى جانب الضجيج ، وتستقر الذلة إلى جانب الكبرياء ، ويهدأ الصغار إلى جانب السمو ، ويلصق الشقاء إلى جانب السعادة ؟ وسيطرت على الدهشة فسلبتني من خواطري اللذيذة ، وتبين لي — لأول مرة — كيف يجتمع النقيضان في صعيد واحد !

وأصر والدي وأصررت أنا ، فما استطاع أن يثنيني عن عزمي ، ولا رضي بأن أبيت في النزل ، وإن النزل ليستنفد من مالنا في ليلة واحدة ما يكفينا أياماً ، وهو حريص على المال شحيح به ، حتى على أنا وهو مال أبي . ثم استحر النقاش بيني وبينه ، فقلت : « أبيت في حجرة الشيخ علي » ، ووافق هذا الرأي هوى في نفس والدي ، ولكن غاظه أن أفضل تلك على هذه !

والشيخ علي فتى من طلاب الأزهر قمئ نحيف ضعيف يكاد يتهاوى من هزال ، ويوشك أن ينقض من وهن ، يخيل إلى من يراه — بادي الرأي — أنه بقية من إنسان أو أنه نفاية رجل . وإنه ليحس مكانه من الناس وقد تخلف عنهم ، فهو ما يبرح يتهادى في مشيته ، ويتأنق في حديثه ، ويشمخ بأنفه ، ويتطاول على رفاقه ، ولكنه لا يبلغ أن يكون رجلا !

وهو يعيش بين خمسة من ذوي قرابته في حجرة واحدة ، وهو رئيسهم ، لأنه يكبرهم جميعاً في السن ، ولأنه أعرفهم بالقاهرة ، ولأنه ألصقهم بالأساتذة ، يتقاسمون أجر المسكن على سواء ، يتعاونون على نفقات العيش ، ويتآزرون على حوادث الحياة ، يتكاتفون على قسوة الغربة ، ويتظاهرون على مشقة الدرس

ودخلت حجرة الشيخ علي مثلما دخلت حجرة الشيخ فهمي من قبل ، فهما على نمط واحد ، لا تبذ واحدة واحدة . ولكن نفسي اطمأنت إلى هذه حين لمست فيها الإيناس بقدر ما نفرت عن تلك حين وجدت فيها الوحشة . أنست إلى هذه لأنني ألفيت هنا الصاحب والرفيق ، ولأنني وجدت مهرباً من الشيخ فهمي ، فما لي به حاجة من بعد ، وهو رجل ضيق العقل ، راكد الذهن ، شحيح النفس ، جامد الكف ؛ وهؤلاء رفاق : نغدو معاً إلى الأزهر ، ونروح سوياً إلى الدار . وهدأت هواجسي ، فأنا الآن أستطيع أن أعبث مع صحابي كيف أشاء ، وأستطيع أن أمكر بالشيخ علي حين تسول لي شيطانتي أن أفعل ، وهو الآن ولي أمري وقائدي !

وصرفتني روح المرح واللعب والعبث — بادئ ذي بدء — عن أن ألمس ما أعاني من شظف وشدة ، وعن أن أحس ما أقاسي من حرمان وضيق . والشيخ علي ممسك لئيم مخادع ، يراوغ الواحد منا عن قروشه ، ويداوره عن مصروفه ، وهو فظ لا يستشعر قلبه الحنان ولا الرحمة ، ولا يبض كفه بدرهم أتنسم به روح الحياة الناعمة في القاهرة ، فعشت زماناً لا أتذوق إلا الخبز والجبن والمالح ، ثم جف حلقي وما لي طاقة بذلك !

وضاقت نفسي بما أجد فانطلقت إلى الشيخ في ثورة جامحة أسأله حقي ، فرتب لي مليما كل يوم لأشتري به متعة الحياة ولذة العيش ! .

وادخرت — بعد أيام — مليمات ، وإن نفسي لتهفو بحو

في ذكرى أديب العربية :

يرحمك الله أبا عبيدة !

للأستاذ محمد سليم الرشدان

يا لله ما أعجب ! هذا هو الدهر تنقضي أيامه وتنطوي لياليه ، فيجتاز بذلك حولاً من العمر ، يطل من ورائه أبو عبيدة ، أديب العربية الأكبر ، العلامة الجليل محمد أسعاف النشاشيبي . فإذا هو ذكرى في ثنايا التاريخ ، وإذا هو حنين تنبض به القلوب ، ثم إذا هو طيف تجتليه الخواطر ، وتفتقده النواظر .

ويح هذه الآمال الديدة ، لطالما زينت له تخوف السبل ، وهونت عليه وعر المسالك . فعبر كؤودها ، واعرورى متونها ، ومضى قدماً لا تقعده المخاطر ، ولا تكبح جماحه الأرزاء . فكلما أدرك غاية ، برزت له من ورائها غايات .

بل ويح هذا الطموح ما زال به يستحث خطوه الجامح ، فهو لا يستقر إلى مآل ، وهو ما يفتأ يشد الرحال ولكنه أخيراً مضى بعد أن خاض شتى المجاهل في دنيا (العربية) ، وتجاوز في ارتيادها بعيد الآفاق . فلم تفته منها صغيرة ، ولم تقف بين يديه كبيرة . فقد ألم بهذه وسبر أغوار تلك ، وأحاط من ذلك كله بما لم يحط به إلا قليل ، فكان شأنه في هذا السبيل ، شأن المجاهد المستبسل ، لا تقعده جراحات الغدر ، ولا ترده أحابيل العدو الخاتل . فخاض غمرة الكفاح ، ولا أيد ولا وزر ، إلا ما اشتمل عليه من مضاء العزيمة ، فأدرك النصر الباهر في كل ميدان ، ومضى في قافلة العمر تراملة العزة والأنفة والإباء ، لا يضير هذه القافلة أن تعترض سبيلها (الثعالب) حيناً ، ثم لا تلبث أن تحول أو تزول .

أرأيت — يا أخي القارئ — بركاناً يتضرم أواراً ، ويتسعر لهيباً ، ويغلي في جوفه شواظ وحمم ، فهو إذا ما فار وثار زفر زفرة أسكت بها من حوله كل باغم ؟ كذلك عهدت النشاشيبي انتقد حيال أعداء العربية ، وأجراء ذوي الأغراض . ومالك لا تستبين ذلك حين تسمعه يردد ساخطاً :

« وأن نجم ذنب فصاح . (إن لكل عصر لغة ، وإن لطبيعة العصر سلطاناً على القول ، فكيف تنادينا إلى لغة يقول العصر — إن استمعها — ليست هذه بلغتي ! فنحن نشأنا ما تنادينا إليه ، ولا نحب أن نقتل أنفسنا منكبين على القول القديم العتيق ، الذي شرب الدهر عليه وأكل ، ولا نهوى إلا لغتنا المصرية السهلة الواضحة ، التي يفهمها كل إنسان حتى راعي البقر ...) أن نجم لنا مثل ذلك الذنب وعوى عواءه ،

الفاكهة وقد حرمتها منذ زمان وأنا أرى دكان الفاكهي في غدوي ورواحي فيجذبني إليه في شدة وعنف ولكني لا أجد الجرأة على أن أقف ببابه أساومه . ثم دفعني شيطاني إليه — بعد حين — فاشتريت ربع أقة عنب دفعت ثمنها ستة مليمات . ولكن حرارة القيظ تركت العنب يتلهب كأنما أوقد عليه بنار جهنم ، ثم دفعني شيطاني مرة أخرى فاشتريت ثلجاً بمليم واحد . وهكذا أنفقت في واحدة كل ما أملك : سبعة مليمات ادخرتها في أيام وأيام .

وتسللت إلى حجرتنا في حذر وأنا أوقن بأنها خاوية ، وأن أصحابي جميعاً في الأزهر ولن يحضروا إلا بعد ساعة ؛ ودلفت إليها على مهل ، ثم وضعت أمامي العنب وسويت عليه الثلج ، وطفقت أنظر إليه في شوق وأنا أله في شغف ، وأتناول الحبة إثر الحبة ، أتذوقها في لذة وسعادة وطمأنينة .

وعلى حين فجأة انفتح الباب ودخل الشيخ علي ، واعتراني الارتباك والخجل ، ونظر هو إلى الطبق أمامي وقد ملأته الدهشة وسيطر على العجب واندفع يلومني : « عنب وثلج ! عنب وثلج ! هذه هي متعة الحياة ولذتها ! » ثم انصرف وعلى وجهه سمات الغيظ والحرمان في وقت معاً .

وعجبت أنا لحديث الشيخ ، ثم انطويت على نفسي أحدثها : « ما أتفه متع الحياة ولذائذها إن كانت تشترى بسبعة مليمات ! »

ثم انطوت الأيام لتعلمني أن متع الحياة ولذائذها غالية غالية تكلف المرء الدم والعمر والمال جميعاً ...

كامل محمود حبيب

القمناه حجراً وحجرين ، وعصوناه ثم قلنا له : أجل أيها الدجل الحاوت إن لـكل دهر لغة ، وإن لطبيعة العصر سـلطاناً ... غيران (لغتك المصرية) هـذه لغة معتلة ، فنحن ندعوك إلى مداواتها وتقويتها بتلاوة القول القديم ، لـكيلا تُسَلّ أو يدود لحمها ثم تموت ... » .

بمثل هذا القول كان يصمت أولئك الذين طالما دعوا — من حوله — إلى نبذ لغة (القرآن) ، والاستعاضة عنها برطانة غوغاء السوقة ، وترك ما أفنى أئمة العربية شباة أقلامهم وشباب أعمارهم ، بجمعه واستنباطه من قواعدها وأصولها ، واستبداله بما خيلته طبيعتهم الأعجمية ، من كلام مهمل سقيم ... يا للـكفر الصراح ، ويا للعقوق الآثم ! لم لا يعد هذه (الثلة كالثلة [1]) ؟ ولم لا يعد من كان فى مثـل هؤلاء (ذنباً أفاكاً) ! بل هل عسيتك — لو كنت حيث كان — إلا مترنماً بمثل قوله :

« كلا ! إن هذا الزنيم قد جهل وجار عن الحق ، واحتقد على لغة العرب فكدح فى محقها (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ...) » . لـكأنى بك تقول ذلك (أو من مثله) ما دمت تنتصب لهـذا الإرث الجليل الخالد ، الذى لو كان حصاد عام ، بل لو كان حصاد جيل لتناسى تافيه . ولـكنه — يا فتى — حصاد المئين من السنين ! فأنى لك العزاء (آنذاك) ؟ والخطب — لو حصل — جليل ، والمصاب — لا كان — مفزع مهول ! فما لأبى عبيدة لا يفزع ؟ بل ماله لا يستنفر الإنس والجن والسموات والأرض والجبال . فيخرج من (صومعته) هائجاً ، وهو يردد متسائلا :

« وكيف يسول الخبث والعجز والجهل ولؤم الضريبة ، كيف يسـول كل ذلك للفتى أن يأتى بالـكفر براحاً وبالشر صراحاً ، ولا يحسب لـكفره بالحقيقة حساباً ، ولا يخشى لشرارته عذاباً ، ولا يخاف عقباها ؟ وكيف يهون له احتقاب كل موبقة. أن يؤتى إلى اللغة العربية ... فيجز شعرها ، ويخدش ذلك الخد الأسيل ... ويخمش ذلك الوجه الجميل ويفحم ! وتصبح (ابنة عوف) مضرب المثل فى القبح ، وهى المثل المضروب فى الحسن والجمال !! ... » .

أرأيت كيف كان أبو عبيـدة (طيب الله ثراه) يغضب للعربية وأهلها . فلا تأخذه فى سبيلها لومة لائم ، ولا يبالى أن يخاصم القريب والبعيـد مادام قد انحرف عن الجادة ، وجانب الصراط السوى . وإذا كان المرء يناضل فى ميدان واحد لا يعدوه ، فقد كان هو يناضل (فى آن واحد) فى ميادين شتى . ومن ذلك أن يتصدى (موجهاً أو مجيباً أو مترسلاً أو متحدياً) فى أقطار مختلفة ، وفى صحف متعددة ، وقد تنكر خـلال ذلك فى أزياء ، وادرع لـكل ميدان بلبوس . فهو « أزهرى المنصورة » حيناً ، وهو « السهمى » حيناً آخر . ثم هو إن بالغ فى التواضع (والتواضع خلة لا تعدوه) أرسل ما يكتبه غفلاً من أية سمة ، فيشاركه صاحب المجلة تكتمه معرفاً كلامه الذى ينم عليه بقوله : « لأستاذ جليل » أو بما هو من على شاكلة هذا التعريف . ثم هو جرىء لا يهاب . إذا تعرض لأمر تخشى عواقبه ، نحى حجاز التواضع جانباً ، وتبدى للخصوم باسمه وكنيته ، شـأن البطل المقدام لا يبالى أن يعرفه الخصم استهانة بخطره ، وغلواً فى الحفاظ والنجدة . فليرحمك الله أبا عبيدة ، لقد كنت أمة فى رجـل ، وكنت رجلاً (نسيج وحده) .

ليتك تعلم — يا قارئى الـكريم — مبلغ اعتزاز ذلك الأديب الفذ بكتاب الله ! لطالما أجابنى على كثير مما كنت أسأله عنـه بآيات بينات منه . وهو يردف مفتخراً : « أرأيت أى كنز يحوى بين دفتيه هذا الـكتاب ؟ أو رأيت شبيها له فيما عبر بك من لغات (آشور وسريان وعبران) ؟ هيهات ! ولئن تحريت فما أنت بواجد ! (لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) . »

كان رحمه الله كثيراً ما ينظر إلى هذا الـكتاب العظيم نظرة المشفق المحب ولسان حاله يستعيد قوله فيه : « يا أيها الـكتاب المعجز ، لقد هلك من يدرك فصـاحتك ، ويكتنه بلاغتك ، ويقدرك قدرك ، ويعطيك من خدمتك حقك . لقد هلك من كنت تتلو عليهم آياتك فيدهشون ، ويخرون سجداً وبكياً . وهـل يعرف بلاغتك المرفة البايـنة ، إلا عربى قح صليب ، لم تشن ملكته العربية من العجمة شائبة ، ولم تؤذ أذنه كلمة قلقة واهنة !! فسقياً لمثل هذا سقياً ، وتعساً ونكساً وترباً وجندلاً

(1) الثلة الأولى : الجماعة من الناس . والثلة (الثانية) القطيع من الغنم . وهذا من كلام النشاشيبى .

لن يبغى أن نضل ، فتستحب اللغة المرذولة ، على لغتك البارعة المذبة المضرية ... » .

ولن أنسى يوماً قدمت فيه إليه ، فأقبل على يحدثنى بقلبه ولسانه عن دنيا العروبة والإسلام . وينطلق شأن المؤمن المتفائل ، يؤكد لى اندحار هذه العجمة فى يوم (قرب ابانه) ، وانطلاق لغة الضاد من عقالها لتنهض بأعباء الإنسانية ، وتؤدى رسالة الحضارة . وما فتئ يكرر بين حين وحين : (ولم لا يكون ذلك واللغة هى اللغة ، والآباء هم الآباء ، والابن مهما كان جاحداً عقوقاً فلا بد أن تجذبه أصالة المحتد وكرم النجار ...) ويحين موعد انصرافى فأستشيره فى فقرات من قوله أعرضها نمطاً من أسلوبه وأنا أتحدث عنه فى طليعة الأدباء أثناء بحثى عن (الأدب فى فلسطين) فى المجلة الحبيبة إلى قلبه (الرسالة الزاهرة) ، فلا يكون منه إلا أن يتناول كتاباً يضع سبابته على سطر فيه وهو يقول : (أكتب من هنا ، ولن تنطقنى بقول تنتزعه من سويداء نفسى ، وتستخلصه من قرارة يقينى إلا أن يكون هذا !!) . ثم أجدنى أقرأ (هناك) كلاماً لا يختلف عما كنت أسمعه منذ هنيهة إلا بألفاظه ، وجعلت أعجب حين رأيتنى حيال كلام قاله عام (١٩٢٧) جاء فيه :

« اللغة هى الأمة ، والأمة هى اللغة . وضعف الأولى ضعف الثانية ، وهلاك الثانية هلاك الأولى ... واللغة ميراث أورثه الآباء والأبناء ، وأحزم الوارث صائن ما ورث ، وأسفههم فى الدنيا مضيع . وإنا أمم اللسان الضادى لعرب ، وإن لغتنا هى العربية ، وهى الأرث الذى ورثناه . وإنا لحقيقون — والآباء هم الآباء ، واللغة هى اللغة — بأن نقى عربية الجنس ، وعربية اللغة.

ولو كان الورثون صغاراً ، ولو كان الميراث حقيراً لوجب علينا إكبارهم وأعظامه ، فكيف والتاريخ يقول : إن الآباء كانوا كراماً ، وإن الآباء كانوا عظاماً ... والزمان يقول : إن العربية خير ما صنعت يداى . (وأن الدهر اصنع) ، وأنها لخير طرفة أطرفها الناس ، والزمان بالخير وإن جاد شحيح . فالعربية الصنع العبقرى للدهر ، والعربية الدرة اليتيمة ، أو كنز الزمان ، ضن به ثم سخا ... » .

يا أخى القارئ : هـذه عبرة ناطقة ، أذرفها بين يديك فى ذكرى هذا النابغة العبقرى فإن أنت عرفته من آثاره ولم تره ، فليس الخبر كالخبر ! وإن كان خبره جديداً عليك (وما أخاله يكون) ، فاعلم أننا فى فقده حيال مجاهد كان سيفه القلم ، وميدانه القراطيس ، وجلاده عنيف قاصم ، لا هوادة فيه مع أخصامه ، (وأخصامه أخصام العربية) :

ولطالما حاز النصر باهراً ، والظفر مؤزراً . فرفع من شأن هـذه اللغة الكريمة ، ما أعلى منارها وسهل من عسيرها حتى حببها إلى غلف القلوب . وفى سبيلها لم يجاوز ميداناً إلا صال فيه ولا خصماً إلا ثبت فى وجهه ثبات (أحد) و (أبى قبيس)

وأخيراً ، أثخنته جراحات الدهر ، فسكن الفؤاد النابض بحب العربية وأهلها ، وصمت اللسان الذليق ، وما كان ليصمت لولا أن أصمته الدهر ...

فى رحمة الله أبا عبيدة .

محمد سليم الرشدان
ماجستير فى الآداب واللغات السامية

شعراء معاصرون :

العاطفة الدينية فى شعر محرم

للشيخ محمد رجب البيومى

(بقية ما نشر في العدد ٨١٨)

— ٣ —

أما شعر محرم الاجتماعى فقد كان مضمخاً بعبير عاطر من التوجيه الدينى والإرشاد الخلقى ، فقد نظر الشاعر نظرات صائبة إلى الأوبئة الخلقية التى تفتك بالأمم الشرقية فتحصد المروءة ، وتطيح بالشرف ، حيث انسابت الأفاعى البشرية فى ظلام الاحتلال تنفث سمومها فى الأجسام الصحيحة ، فإذا الإنسان الطاهر العف يتحول مارداً فاجراً يعب الخمر فى نهم ، ويريق الدم المصون فى تهتك ، ويلطخ وجهه بآثام فاحشة يندى لها الجبين ، وقد قام محرم بدور الطبيب الحكيم ، ففحص الداء فحصاً دقيقاً ثم أخذ يشخص الدواء الناجع ، وكان القرآن الكريم قبلته ووجهته ، فنادى بالرجوع إلى آدابه ، وشهر بمن يجترحون السيئات ويقترفون الفواحش ، وقد اتخذ من الجرائم الخلقية التى يرتكبها الإباحيون ، وتنشرها الجرائد اليومية مادة دسمة لإنتاجه . وفى الجزء الأول من ديوانه أقاصيص شعرية تجلى هذه الفضائح ، وقد أحاطها الشاعر بسياج من النصح الأدبى ، والتوجيه الخلقى . وأنك لتلمس لهفة محرم وأسفه حين يتحدث عن شرذمة غاوية ائتلفت على البغى فهوت إلى حمأة الرذيلة تلغ فى أرجاسها الشائنة غافلة عن عتاب الله نابذة وراءها عهود محمد وزواجر التنزيل فهو يقول :

أسيت لمسرفين أعان كلاً ... على إدمان لذته أبوه
إذا ما عاقر الفحشاء منهم ... أخو النشوات غناه أخوه
لهم فتكات أطلس ما يوارى ... دم الهلاك مخالبه وفوه
عليهم من خزاياهم سمات ... وما أنفوا الفجار فيجحدوه
إذا ما من فى الظلماء صيد ... تداعوا حوله فتصيدوه
تردى بينهم فتساوروه ... إلى أن قال قائلهم دعوه
قفا السمار وادلجوا إليه ... وأكبر همهم أن يبلغوه
أيأمرهم بتقوى الله قوم ... وما عرفوا الآله فيتقوه
شباب العار ما تركوا رجاء ... لنا فى مصر إلا خيبوه
أناس ريعت الغبراء منهم ... وضج العرش مما أحدثوه
أتى التنزيل بالمثلات تترى ... وبالحق المبين فكذبوه
ذوا أسفى لعهد الله فيهم ... وعهد محمد إذ ضيعوه !!

وفى ديوان الشاعر من هذا الطراز جذوات مشبوبة تتقد باللوعة فليتها وجدت من يسمع أو يجيب !!

ومع أن محرما قد نادى فى صيحاته الاجتماعية بضرورة التعليم كدعامة راسخة يرتكز عليها بناء النهضة ، فقد وجد من الناس من ظن به رغبة عن تعليم الفتاة والنهوض بها إلى ذروة الرقى ، رغم ما امتلأ به ديوانه — فى الجزء الثانى خاصة — من حث على ثقافة المرأة وإيضاح لمركزها الدقيق الذى تحتله فى المجتمع . ولعل هذا الظن الخاطئ قد أتى من مهاجمة الشاعر لدعوة التحرير التى رفع لواءها قاسم أمين ، ونحن إذا نظرنا لهذه الدعوة نجد صاحبها يحث على تعليم المرأة وتهذيبها عن طريق السفور والتحلل من الحجاب ! والشاعر وإن كان من المنادين بضرورة تثقيف الفتاة لا يوافق على السفور مها تكاثرت المبررات ، فاندفع إلى مهاجمة قاسم متأثراً بعاطفته الدينية التى تحرم التبرج تحريماً قاطعاً ؛ وما كان له أن يحيد عن ذلك وهو يضع كتاب الله نصب عينه . ولعله كان ينظر من وراء الغيب إلى ما سيجره السفور من فتن فشدد عليه النكير . فمحرم إذن يكتفى بضرورة تعليم الفتاة دون ما عداه ، فليس لها أن ترتع فى الأسواق ، وتزاحم الرجال فيما لم تهيأ له من الأعمال ، واستمع حجته فى ذلك إذ يقول :

همنا بربات الحجال نريدها ... أقاطيع ترعى العيش وهى سوائم
وإن امرأ يلقى بليل نعاجه ... إلى حيث تستن الذئاب لظالم
وكل حياة تثلم العرض سبة ... ولا كحياة جللتها المآثم
أتأتى الثنايا الغر والطرر العلا ... بما عجزت عنه اللحى والعمائم
فلا ارتفعت سفن الجواء بصاعد ... إذا حلقت فوق النسور الحمائم
سلام على الأخلاق فى الشرق كله
إذا ما استبيحت فى الخدور الكرائم

أقاسم لا تقذف بنفسك تبتغى ... لقومك والإسلام ما الله عالم
ولولا اللواتى أنت تبكى مصابها ... لما قام للأخلاق فى مصر قائم
نبذت إلينا بالكتاب كأنما ... صحائفه مما حملن ملاحمُ
أحاطت بنا الأسد المغيرة جهرة ... ودبت إلينا فى الظلام الأراقم
ألا إن بالإسلام داء مخامرا ... وإن كتاب الله للداء حاسم

ولنقرن هذه الصيحة الناقمة على دعاة السفور بأحدى صيحات محرم فى ضرورة تعليم الفتاة ، لنعلم أن الشاعر لم يحارب تعليم المرأة فى يوم من الأيام ، وإنما احتاط لدينه ومروءته ؛ وتمسك بكتاب ربه وهدى نبيه . وحسب الإسلام منه أن يذود عن مبادئه فى قوة ، ويتمسك بحدوده في إيمان ، قال محرم :

ما أبعد الخير والمعروف عن أمم ... تعيش فوضى وترضى بالحياة سدى
وجاهل ظن أن العلم مفسدة ... للبنت فانتقص التعليم وانتقدا
مهلا فرب فتاة أهلكت أسرا ... بجهلها وعجوز أفسدت بلدا
الأم للشعب إما رحمة وهدى ... أو نكبة ما لها من دافع أبدا
لا يذهب الشعب فى أخلاقه صببا ... والأم تذهب فى أخلاقه صعدا
لا تيأسوا وأعدوا الأم صالحة ... فهى السبيل إلى إصلاح ما فسدا

على أن الشاعر لم يهاجم قاسما وحده ، بل كان يهاجم من المسلمين من يرى منه نزوعا عن الشريعة ، وكان يتأدب فى هجومه بتوجيه الإسلام ، ويسترشد بتعاليمه ، فلا يميل إلى الإسفاف والمهاترة ، أو يعمد إلى التشهير والتنديد ، بل إن قصائده فى أعداء الإسلام « كهانوتو وكرومر » كانت تخضع إلى المنطق المعتدل وتتحاشى ما ينفر منه الأدب والذوق . ولله محرم ، فطالما جادل بالتى هى أحسن ، ودعا إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة ، مع أن الشعراء يبيحون لأنفسهم من الإقذاع فى الهجو ما ينأى عنه ذو الخلق الكامل والنبل الأصيل !!

— ٤ —

بقى أن نتحدث عن الناحية التاريخية فى شعر محرم ، وهى ناحية هامة شغلت جانبا كبيرا من اهتمامه ، فلا تكاد تخلو قصيدة من قصائده من إشارة إلى موقف تاريخى طواه الزمن ، تخلده الشاعر ولاجرم فقد كانت ثقافته تاريخية إسلامية ، حيث استوعب ما قدر عليه من الصحائف المجيدة التى تجلو عظمة الفتح الإسلامى وتتحدث عن أبطاله المسلمين ، فكان له من هذا الاستيعاب مادة دسمة أكسبت انتاجه قوة ذاخرة ، وأمدت شعره بأسباب متينة من الروعة والتفوق !! وإذا كان الشاعر قوى الإيمان بعظمة القادة البرزين من أعلام الإسلام ، فقد فتحت له عاطفته الدينية أبواب القول فصال وجال فى ميدان التاريخ حتى لينفرد وحده بين شعراء العربية بتصوير البطولة الإسلامية تصويراً لا يتعلق بغباره متعلق ، مهما حاول التقليد .

لقد نظر محرم إلى أعظم أبطال الإسلام محمد صلى الله عليه وسلم فبهرته عظمته الفائقة ، وأخذته روعته الخارقة ، فنظم إلياذة كبيرة تقع فى عدة آلاف من الأبيات المختارة المنتقاة ، يسجل بها تاريخ الرسول الأعظم من ميلاده إلى أن جاءه اليقين . وقد قرأتُ ما وقع لى من شعر الإلياذة فكدت أستظهره فى نهم ، وتأكدت أن بلاغة محمد قد نضحت عليه من بيانها الرائع ، فتطامن له المعنى الجموح ، ووقعت يده على النادر اليتيم من الأساليب ، وقد راعى أحمد منازع حديثه ، فهو فى بدر وأحد يجلجل ويهدر حتى ليسمعك الصليل والصهيل ، وقد يعمد إلي القافية الشموس فى موقفه الحامى . فيخضعها لبيانه المشرق . وللقارىء أن يطالع قصيدته المائية فى فتح مكة فهى وحدها الحجة والدليل .

وكنت أقع فى دهشة عجيبة حين أجد الشاعر يتكلم فى الموضوع الواحد مرات متعددة ، وهو فى كل فريدة من فرائده يطالعك بمعان لم يجش بها خاطره قبل ذلك ، وقد فرض على نفسه أن يحيي رسول الله فى كل عام بقصيدتين فى مناسبتى الهجرة الشريفة والمولد السعيد . أضف إلى ذلك ما يعرض من المواسم الأخرى كذكرى غزوة بدر ، وذكرى الفتح ! ثم هو بعد هذا كله يشعر بأنه لم يقل شيئاً بجانب ما يليق بعظمة محمد فيقول فى مخاطبته :

ما فى النوابغ من لبيب حاذق ... إلا وأنت ألب منه وأحذق
والقول مستلب المحاسن عاطل ... حتى يقول العبقرى المفلق
أنت المجال الرحب تمتصر القوى ... فيه وتمتحن الجياد السبق
حسان منبهر وكعب عاجز ... والنابغ الجعدى عان موثق
أطمعتهم فتجاوزوا فيك المدى ... وأبيت فانصرفوا وكل مخفق
لى عذرهم ما أنت من عدة المنى ... إلا وراء مخيلة ما تصـــدق

والحق أنه — رحمه الله — كان يجد فى الذكريات الدينية ظلاً وارفاً يتفيأه فى هجير الحياة ، فهى تتيح له الموازنة بين الحاضر والماضى مما تكلمنا عنه قبل ذلك ، كما تمكنه من إسداء النصائح الصادقة لأبناء الدعوة المحمدية فى مختلف البقاع

إلى الخير...

للاستاذ ثروت أباظه

... نعم يا سيدى، لقد رأيتنى أهيم فى الحوالك من الظلمات، شارداً أضرب فى الحياة وتضرب بى ولا نصير ... أقطع الطريق أو أقف دونه لا يشجعنى على السير صديق أو يحثنى دون الوقوف رفيق، وأنا مع الحياة لا أبالى أيان يلقى بى موجها، فكل أفق لى قبلة، فليس لى فى أى أفق من الآفاق أمل مرتقب، وحولى الناس كلهم لاه عن غيره إلى نفسه، فاهوت عنهم؛ ولم يكن لى نفس لأئوب إليها أو أطمح بها، فكنت أشرئب إلى السماء مرات خمسا بين الصباحين فأسأله فى عليائه أن يفسح بينى وبين أحد عباده على الأرض طريقاً ... فإذا طال بى السؤال، دون الإجابة ابتهلت إليه أن يضمنى إلى سمائه أرى الرحمة الكبرى من ورائها تلف التقى فى سيبها والعاصيا.

ولم يكن بى عصيان لأوامره، غير أنى أحسست على الناس النقمة، وكرهت أن أرى السعيد منهم، فانصرفت إلى دار الكتب حيث يباح التثقيف بغير أجر، فظلت أقرأ وأقرأ، وكنت كلما ازددت قراءة قلت فى نفسى: لو لم تكن هذه الكتب من عمل الإنسان لكانت أعظم مما هى عليه ... وكنت أعجب كيف يستطيع الإنسان الكنود أن يخرج مثل هذا الصفاء ... كتاب لا يملك، فإذا مققته أنت لم يغضب، بل يقيم أيان تضعه منتظراً منك المودة؛ فإذا عدت لاقاك مفتوح الصدر، صريح العبارة، لا يخفى عنك شيئاً؛ وإذا قصر يوما عن ابلاغك مرادك اعتذر إليك وقدم زميلا له يشرح ما غمض فيه .. هكذا يا سيدى عرفت صديقاً على الأرض، وهكذا كنت أفكر فى شأنه، فما خاننى ولا خنته، بل زادنى تجربة وعلما ... وهكذا يا سيدى خلت أن الله قد أجاب به الدعاء وحقق لى الأمل فرحت أكتب إلى الجرائد أستعين بما ترسله من مال زهيد على مأكل يأبى الوصول إلىّ، أو مسكن ينفر — على رثاثته — أن يضمنى بين حشراته. أما الناس يا سيدى فقد يئست من وجودهم منذ أزمان بعيدة.

وتلك رسالة الشاعر العامل، إذ يحمل بيده الشعل المضىء فينير السبيل.

وكنت أود أن أتكلم عن الإلياذة كوحدة مستقلة فأعرض لها ببعض التحليل والتشريح، ولكن القدر قد كتب لها أن تظل فى مهملات وزارة المعارف بجفوة منسية فى عصر مجحف ظالم رسبت الدرر الغالية فى قاعه، وطفت الجيف النتنة فوق سطحه، فطبعت دواوين الشاعرين من المتافين والمصفقين، وأهملت ملاحم النوابغ الملهمين. ولولا ما قرأته فى المجلات الأدبية والعلمية كالرسالة والثقافة والأزهر من قصائد متناثرة تنتمى إلى إلياذة محرم لظننتها خرافة تختلق مريب!!.

وإذا تعدينا تاريخ محمد إلى غيره من المرسلين فإننا نجد محرماً قد اندفع أيضاً وراء عاطفته الدينية فنظم فى قصص الأنبياء معلقة طويلة ألقاها فى موسم الشعر وقد ابتدأها بقصة آدم وحواء، وخروجهما من الجنة، ثم دلف إلى الأنبياء الذين ذكرهم القرآن فروى قصصهم الماضية مبينا جهود كل نبى فى دعوته، وما قابله به قومه من العناد والاستخفاف، ثم ما كان فى النهاية من ظهور الحق وخذلان الباطل، وإن كان هناك فرق شاسع بين حديث الشاعر عن الأنبياء فى ملحمته الجيدة، وحديثه عن محمد فى إلياذته العامرة، حيث كان فى الأولى مؤرخا يسجل الحوادث كما حكاها القرآن، وتناقلها الرواة والمفسرون دون أن تقوم شاعريته بتوليد بارع أو ابتكار رائع؛ ولكنه فى الإلياذة قد جمع بين التاريخ والفن، فهو يبدع فى الفكرة والعرض معا كما رسم صورة للزمان والمكان. وقد يهتم بالجزئيات الصغيرة فيصوغها فى لباقة تحمد للناثر المترسل فما ظنك بالمقيد بقافية ووزن!! ذلك توفيق كبير.

رحم الله محرما فقد أسدى إلى العروبة والإسلام يداً بيضاء لم يسلها شاعر عربى قبله، ومع ذلك فقد عاش حياته الطويلة فى دمنهور كادحاً متعباً لا يجد الناشر الذى يظهر له ديوانه الرائع فى ثوب لائق بمركزه المرموق، ثم وافاه الأجل المحتوم فسكت الأدباء عنه فى قسوة، غافلين عن أدبه الحى وفنه الرفيع، وكأنى به فى حنادس القبر يردد متأوهاً نائحاً بيته الحزين.

ظلمت وفى فى الأدب المصفى   وضعت وفى يدى الكنز الثمين

(جزيرة الروضة)   محمد رجب البيومى

ولم يكن اليأس مريحاً – كما يقولون – فقد ضنيت به رغم صداقة صاحبي، الكتاب .. كذلك ياسيدي كنت حين شاء لك ذوقك الأدبي الرفيع أن تختارني لأعمل لديك على سبيل الدوام فقصدت إليك يائساً من الصداقة والشهرة، آملا في الكسب، ولاقيتني يا سيدي فأحببت فيك خلقاً وسلوكاً، وأحببت فيك كل ما فيك، ولم أجرؤ أن أبين عن هذا الحب خشية أن يتمادى بي ثم تنقطع بيننا الأسباب... خشيت على نفسي ياسيدي، ولكن خلقاً فيك كريما أبى إلا أن يشجعني فأحببتك وأحببت الناس فيك ولك .. ووجدت نفسي قد خلقت خلقاً آخر، فلا حقد ولا يأس ولا قنوط؛ ومازلت بي ياسيدي تمد لي من عطفك فأمد لك من حبي حتى وجدتني أقول لك من غير داع « إنه لو جاء يوم أغير قطعني عنك فإنني والله لن تقوم لي قائمة بعده » ... وأنت أنساك يومئذ يا سيدي وأنت تضحك لي في حب كبير ... « إنها أوهام ... طالما يتخيل الإنسان أموراً ثم يجسمها فلا تلبث أن يذيبها مرور الأيام » وقلت لك يا سيدي : « إنه لن يكون هناك أيام لتذيبها فسوف أذوب أنا قبل أن تمر هاته الأيام » هكذا يا سيدي بلغ بي الحب فمشت أرصد حياتي لك ولخدمتك حتى نلت لديك ما نلت. وكنت أنت حياتي بعد أن تقطعت بي أسباب الحياة .

وهأنت ذا يا سيدي اليوم تقصيني عن موارد حبك فأخرج إلى الكتاب مرة أخرى وألاقيه فيلاقيني مفتوح الذراعين حانيا، وكنت أقسمت يا سيدي وأنا أعمل بجريدتك ألا أكتب في غيرها أبداً؛ ومازلت يا سيدي باراً بهذا القسم؛ بيد أنني تذكرت اليوم فقط أمراً لم يخطر لي ببال، تذكرت يا سيدي أنك مرهف الحس، دقيق الشعور، وخشيت ياسيدي إذا أنا حطمت حياتي أن تشعر بما جنيته على، ولا أريدك يا سيدي أن ترجع إلى وأنا حطام انميتني على حياة أكرهها مادمت أنت بعيداً عنها. فقلت في نفسي: لأعمل حتى لا يشعر بما جناه، وحتى يطمئن إلى أنني مازلت أقاوم الحياة . وإنني يا سيدي حتى اليوم كلما سألني سائل عن سبب القطيعة خلقت في نفسي عيوبا لا أظنها تجرؤ أن تنتسب إلى وأنا من أحببته أنت حينا من الدهر، ولكنني كنت أجور على نفسي حتى لا يجور القوم عليك ... فأنا ما زلت أحبك شأني دائما، أما ما قام بنفسك من شك في وفي حبي لك فأنت وحدك الذي ستمحوه حين تستبين حقيقة نفسي مادمت لم تستبنها حتى اليوم، وما دمت يا سيدي تعتقد – رغم كل ما أبنت لك – أنني كنت أداهنك وأداجيك . ولعمري أي فائدة تعود على من المداهنة والمداجاة وأنا لم أطلب منك يوما مطلبا لنفسي ؟.. أي فائدة وقد أغريت لتركك بالمال فكنت أسب كل من يجرؤ على هذا . أي فائدة !.. اللهم إلا إذا كنت تظنني أمثل لمجرد التمثيل؛ وحينئذ يا سيدي اسمح لي أن أرى في هذا التفكير انحطاطا عما عرفته فيك من ذكاء لماح ... ولكن دعني يا سيدي أقل الحقيقة ... إنك عجبت أن يكون في العالم إخلاص كإخلاصي، واستبعدت أن يحب شخص شخصا مثلما أحببتك، وخشيت أن أكون كاذبا فقلت في ضميرك : لأرح نفسي من عناء البحث والاستقصاء والتحليل، ولأقطع بيني وبينه الصلات قبل أن يفجعني بالخيانة . ولو أنك نظرت إلى ماضي وأنت تعرفه لعلمت أن مكانك من نفسي ليس بالقريب ... لقد كنت يا سيدي بمثابة الواحة التي يجد بها الظامىء، وظلا وعيشا، فهو قائم بها لا يريم ... كنت ياسيدي كذلك في حياتي وما تزال يا سيدي كذلك ولن تزال .

لعلك تعجب لم أكتب إليك كل هذا الكلام ... كتبت لأبين لك عما ينتفض به حسي، ولأطمئنك على قابلي من الأيام فلا يملكن عليك العطف شعورك، ولتهدأ بالا ولتثق يا سيدي أنني لن أصادق بعدك أحداً حتى لا أفجع فيه مرة أخرى، ولكنني سأعيش، وسأعيش بما أنحته لي من شهرة، فأنا لك أيان تأتي بي الأيام رحلها، ولكنني أستحلفك ياسيدي ألا تعامل غيري بمثل ما عاملتني... على أنه لن يتاح لك أن تفعل، فإن أحداً لن يحبك أو يخلص لك كما أحببتك وأخلصت لك ... لأن أحداً لم يلق في حياته إجدابا كما لاقيت . والسلام عليك ورحمة الله .

قرأ صاحبي الخطاب وأنا أتابعه مأخوذاً بأسلوبه المترسل عاجباً من إخلاصه المكين؛ وما انتهى الصديق من القراءة حتى صحوت إليه أقول :

– فمن الكاتب ؟

– لقد عرفت شخصيته وما أظنك بحاجة إلى معرفة اسمه.

– ولم أقصيته عن موارد حبك بعد أن أنميتها له ؟ !

– لقد أجاب هو عن هذا السؤال خير إجابة .

القوة الحربية لمصر والشام
فى عصر الحروب الصليبية

للأستاذ أحمد أحمد بدوى

(تتمة)

واقتضت الضرورات الحربية هدم بعض المدن التى يخشى أن تكون خطراً فى يد العدو إذا سقطت فى يده ، وقد رأينا أمثلة لذلك فى فصل الحروب السياسية .

ومن تلك المدن التى هدمت مدينة تنيس التى أمر الملك الكامل سنة ٦٢٤ بتخريبها ، فخربت وظلت خراباً إلى اليوم (١) ، ومدينة دمياط ، ففى عهد المعز أيبك اتفق المماليك على تخريبها خوفاً من مسير الفرنج إليها مرة أخرى ، فوقع الهدم فى أسوارها سنة ٦٤٨ ، وخربت كلها ، ومحيت آثارها ، ولم يبق منها سوى الجامع ، وصار فى قبليها أخصاص على النيل ، سكنها ضعاف الناس وسموها المنشية ، وهى أساس مدينة دمياط الحالية . وفى عهد بيبرس أخرج عدة من الحجارين سنة ٦٥٩ لردم فم بحر دمياط حتى لا تستطيع سفن الأعداء دخوله ، فمضوا وألقوا فيه من كبار الحجارة ما ضيقه ، حتى أصبح من العسير دخول مراكب البحر الكبار منه (١) ، ولا يزال على ذلك إلى الآن .

(١) السلوك ج ١ ص ٢٢٤

وإذا كانت الضرورة الحربية قد قضت بهدم بعض المدن ، فقد أنشأت الحرب بعضاً آخر ، كمدينة المنصورة التى أنشأها الملك الكامل سنة ٦١٦ ، بعد أن ملك الفرنج مدينة دمياط ، فإنه نزل بموضع هذه البلدة ، وخيم به ، وبنى قصراً لسكناه ، وأمر من معه من الأمراء والجند بالبناء ، فبنيت هناك عدة دور ، ونصبت الأسواق ، وأدار عليها سوراً مما يلى البحر ، وستره بالآلات الحربية والستائر ، ولم يزل بها حتى استرجع مدينة دمياط ، وأخذت تنمو من يومئذ حتى صارت مدينة كبيرة بها الحمامات والفنادق والأسواق (٢) ، وفى هذه المدينة نزل الصالح أيوب عندما هاجم الفرنج دمياط ، فأصلح سورها وجعل الستائر عليه ، وشرع الجند فى تجديد الأبنية هناك (٣) ، وبعد موت الصالح بها ، دارت المعركة التى انهزم فيها الصليبيون هزيمة نكراء.

وأنشأ الصالح أيوب مدينة فى أول الرمل للذاهب إلى الشام من مصر ، سميت الصالحية ، وكان ذلك سنة ٦٤٤ (٤) ، وجعل فيها سوقاً جامعة ومسجداً ، وقد أنشأها لتكون مركز العساكر عند خروجهم من الرمل (٥) ، ومنذ ذلك الحين اتخذها الجند مركزاً لهم إذا خرجوا للغزو ، أو عادوا إلى مصر .

* * *

وكان لمصر فى ذلك العصر علم يميزها ، كان لونه فى عصر الدولة الفاطمية أبيض (٦) ، مكتوباً عليه بلون لده أصفر قوله تعالى : نصر من الله وفتح قريب . وتختلف أحجام الأعلام ، إلا أن أكثرها استعمالا كان طوله ذراعين فى عرض ذراع ونصف (٧) . وكان إلى جانب هذا العلم الرسمى علمان خاصان بالخليفة ، يعرفان بلواءى الحمد ، وهما رمحان طويلان ، ملبسان

(١) خطط المقريزى ج ١ ص ٣٦١

(٢) خطط المقريزى ج ١ ص ٣٧٣

(٣) المرجع السابق ص ٣٥٥

(٤) هامش النجوم ج ٥ ص ١٥ نقلا عن خطط المقريزى

(٥) السلوك ج ١ ص ٣٣٠

(٦) تاريخ التمدن الإسلامى ج ١ ص ١٠٢ وخطط المقريزى ج ٢ ص ٣١٨

(٧) صبح الأعشى ج ٣ ص ٤٨٠

— أو ما زال مقصيا !!

— أو تظننى إلى هذا الحد من الجحود ! لقد ذهبت إليه أستغفره فغفر ... إن كل ما أرجو أن يبلغ إخلاصى له مبلغ إخلاصه لى ... أرج الله منى .

— والله إن لم تخلص له فأنت أكبر جحود رأيته ، وأعيذك أن تكون وان تكون ... فبالله عليك لا تسر به إلا إلى الخير .

— إلى الخير دائماً إن شاء الله ... إلى الخير .

ثروت أباظة

بأنابيب من ذهب إلى حد أسنتهما ، وبأعلاها رايتان من الحرير الأبيض المرقوم بالذهب، ملفوفتان على الرمحين غير منشورتين (١) .

فلما جاء صلاح الدين اتخذ راية ذات لون أصفر (٢) ، وكان في ذلك إشـارة إلى أن مصر وإن كانت قد عادت إلى أحضان الدولة العباسية — مستقلة ذات كيان خاص بها ، ولست أدرى إن كان هذا اللون الأصفر لون أعلام نور الدين أو هو لون انفرد به صلاح الدين ، لأننا نجهل لون راية نور الدين ، ولعلها كانت سوداء كرايات العباسيين .

ولا نعلم بوجه التحقيق السر في اختيار صلاح الدين هذا اللون . أما سر اختيار الفاطميين للون الأبيض ، فهو مخالفتهم المخالفة التامة للعباسيين ، الذين اختاروا اللون الأسود شعارا لهم فعلى الضد منهم اختار الفاطميون لون أعلامهم .

وظل العلم الأصفر علم الأيوبيين والمماليك لمن بعدهم ، وكان من الرايات عندهم عدة أنواع : فمنها راية عظيمة من حرير أصفر ، مطرزة بالذهب عليها ألقاب السلطان واسمه ، وتسمى العصابة ، وراية عظيمة في رأسها خصلة من الشعر تسمى الجاليش ، ورايات صفر صغار تسمى السناجق (٣) ، وصار المتولى أمر الأعلام السلطانية في عهد المماليك وظيفة أمير علم ، أما العلم دار فهو لقب الذي يحمل العلم مع السلطان في المواكب (٤) .

* * *

ولم أعرف زى الجند في العصر الفاطمي سوى أنهم كانوا يلبسون السراويل والبرانس (٥) أما بعد ذلك فقد أدخل سلاطين الأيوبيين لبس الكلونة بمصر Calotte ، فكانوا يلبسون الكلوتات الجوخ الصفر على رءوسهم بغير عمائم ، وذوائب شعورهم مرخاة تحتها ، وكذلك كان يفعل أمراؤهم وجندهم ومماليكهم . ولم يزل السلاطين والجند يلبسون الكلوتات الصفراء بلا عمامة إلى عصر المنصور قلاوون فإنه أضاف لبس الشاش على الكلونة ، وقد صارت تصنع من الصوف الملطى الأحمر ، وفى

(١) المرجع السابق ص ٦٩ ؛

(٢) الروضتين ج ٢ ص ١١٦

(٣) صبح الأعشى ج ٤ ص ٨

(٤) المرجع السابق ج ٥ ص ٥٦ ؛ و ٦٢ ؛ .

(٥) نظم الحكم بمصر في عصر الفاطميين ص ١٧٨

عهد ابنه الأشرف خليـل رسم لجميع الأمراء أن يركبوا بين مماليكهم بالكلوتات الزركشة ، حتى يتميز الأمير بلبسه عن غيره ، وترك الكلوتات الجوخ الصفر لمن دونهم . على أنها ظلت تلبس فوق ذوائب الشعر الرخاة ، على ما كان عليه الأمر أولا . وفى عهد الناصر محمد بن قلاوون استجد العمائم الناصرية وهى صغار ، وحلق رأسه ، وحلق الأمراء رءوسهم ، وتركت ذوائب الشعر .

وفى عهد المماليك كان الجند يشـدون أوساطهم ببنود من قطن بعلبكى مصبوغ ، وعليهم أقبية بيضاء أو مشجرة حمراء أو زرقاء ، وهى ضيقة الأكمام ، وفوق القباء كران بحلق وأبزيم وصوالق ، والصوالق جراب أو كيس من جلد ، وفيه منديل طوله ثلاثة أذرع ، فلما جاء قلاوون صاروا يلبسـون الأقبية التترية ، وفوقها القباء الإسلامى ، وعليه تشد المنطقة والسيف . وبتميز الأمراء والمقدمون وأعيان الجند بلبس أقبية فوق ذلك قصيرة الأكمام (١) .

* * *

وكان العادة في الأسرى أن ينزلوا في معسكر خاص بهم ، تضاف الرجال إلى من فيه من الأسرى ويمضى بالنساء والأطفال إلى القصر الملكى بعد أن يعطى الوزير طائفة منهم ويفرق ما بقى من النساء على الجهات والأقارب فيستخدمونهن ويربونهن حتى يتقن الصناعات ، ويدفع الصغار من الأسرى إلى الأستاذين فيربونهم ويتعلمون الكتابة والرماية ، ويقال لهم « الترابى » وفيهم من صار أميراً من صبيان خاص الخليفة ومن كان يستراب به من الأسرى ضربت عنقه ، ولم يعرف قط في الدولة الفاطمية أنها فادت أسيراً من الفرنج بمال ولا بأسير مثله (٢) ، أما في الدولة الأيوبية فكانت المفاداة تحدث من الجانبين .

أحمد أحمد بدوى

مدرس بكلية دار العلوم — بجامعة فؤاد الأول

(١) خطط المقريزى ج ٢ ص ١٦٠ و ٣٥٢ وهامش السلوك ج ١ ص ٤٩٣

(٢) خطط المقريزى ج ٢ ص ٣١٤ .

موكب الأبطــــال

للأستاذ علي محمود طه

(هذا هو النص الكامل لقصيدة الأستاذ الشاعر التي يحيي فيها أبطال الفلوجة بعد أن استقبلهم موكبهم الظافر بعض الثمار والخواطر)

أقدم فداك حديدها ولهيبها   واغنم بجادتها فأنت ربيبها
مجدُ الفتوح الغرّ أنت وربّه   والحربُ أنت على الدنى موهوبها
ما الحرب إلا ما شرعتَ ، وما رأت   أمم تذود عن الحقوق شعوبها
نادت فهبَّ على الدماء ضريجها   يمشي ، ويقتحم السعير خضيبها
شرفُ المحارب أن يعف سلاحُه   إن جارت الهيجاء وهو حريبها
ليجير شـــعباً أو يحرر أمةً   لا تستباح ولا يضام نجيبها
النصرُ أن تلقى الطغاةَ بضربة   شنواء لم يُصبِ الطغاةَ ضريبها
نخذ العدو المستخفّ بطعنة   إن لم تمته ، غدا تميته ندوبها
والمجدُ أن تحمي وراءك قريةً   ضاعت مسالكها وضاق رحيبها
جُن الحديدُ بأرضها وسمائها   يجري وطار ، نصيبه ويصيبها
شدت يدُ الفولاذ حول نطاقها   حلقاً تصيح النارُ : كيف أذيبها؟!
بالروح والإيمان أنت قهرتها   بأساً ، فلان على يديك صليبها
حتى إذا أعيا العدوَّ جلادُها   ووهت جحافله وطاش وثوبها
عضت على كفّيه ، والتفّت على   ساقيه ، وانسدت عليه دروبها
ومشت له منها ضراغمُ غابة   كلٌّ الردى أخلابها ونيوبها
قذفت به عنها ، وغودر جيشه   بَدداً تعقّبه الحتوف وحوبها
جثثاً تعاف البيدُ شربَ دمائها   ويعفّ كاسرها ويأنف ذيبها
شرفاً كماةَ النيل أيّ بطولة   راع الكماةَ فنونها وضروبها
ومواقف لكمو تشيد بذكرها   دول وراء النار قام رقيبها
وملاحمُ الأبطال في «فلوجة»   قصص الكفاح غريبها وعجيبها
«هومير» ما غنى بها «طروادة»   وكتابها ما ألهمته حروبها !

ضربوا الحصارَ على الكماة لجامهم   فطن الشجاعة في الحروب أريبها
متمرّسٌ بطباعها متفرّسٌ   في روعها ، يقظ الخطى مرهوبها
فادٍ أحمٌ كأنما احترقت به   حربٌ من الميلاد كان نشوبها
فنما وشبَّ ، عليه من يحمومها   أدمٌ زهاهُ من السّمات مهيبها
طلعت به إفريقيا وتطلّعت   آجامُها وجبالها وسهوبها
يزري بما نصب الدُّهاةُ لصيده   ويضلّ أشراكَ الردى ويخيبها
ما زال معه طرعاً يصول ودونه   بيداء يغشاها اللظى ويجوبها
ساق الطغاةُ لها فرائسَ فتنة   حمراء ينفخ في الجحيم ربوبها
عرضت مآتمها بهم وتقدّمت   أمم تمور على الرمال ذنوبها
حتى رأى كوى السماء فتفتحت   وتلألأت بسنى "سلام" ثقوبها
ومشى الكميُّ أشمّ بين رجاله   أبطال حرب لا يقر سليبها
لن يستذلّ ثرىً عليه دماؤهم   سالت . لقد روّى الحياة صبيبها

يا أيها الأبطالُ مصرُ إليكمو   بالغار يستبق الشبيبةَ شيبها
وعقائلٌ خلف الخدور هواتفٌ   كالطير أذّنَ بالصباح هبوبها
ينثرن بالريحان فوق رؤوسكم   طاقات ورد ليس يذهب طيبها
وهفت غمائمُ في السماء تظلّكم   ورفّ مصعِّدها لكم ومصيبها
وعلى طريق المجد من «فلوجة»   مُهجٌ حوائم ، في التراب وجيبها
شهداؤكم ودّوا هناك لو أنهم   قدموا بألوية يروع خضيبها
طلعوا بنور الفجر فوق مآذن   تدعو ، ورحمنُ السماء يجيبها
هاتوا حديث الحرب كيف تطامنت   لكمو مفازعُها وهان عصيبها
في قرية محصورة كسفينة   في لجة هاجت وماج غضوبها
لم تدرِ فيها الريح أين قرارها   والشمس أين شروقها وغروبها
كم حدّثوا عنها وقالوا في غدٍ   للقاع تهوي أو يحين رسوبها
وبمصر والدنيا عيونُ أحبةٍ   ترعى النهار ، وتتقي فسق الدجى
إيه حماةَ الشرق كم بجهادكم   تشدو العصورُ بعيدها وقريبها
هذي الضفافُ وهذه داراتكم   داراتُ شمس لا يحول شبوبها
ترنو لكم وتكاد من أشواقها   تمشي ، أو كيف حرا كهاو دبيبها؟!
لم لا أغنيكم قوافيَّ التي   غنى بملحمة الحياة طروبها!
هي من روائعكم وهي جديدها   منكم ، ومني في البيان رنينها
بالله إن طفتم بساحة عاهل   ترعاهُ مصرُ عيونُها وقلوبها
فتقدّموا تحت اللواء وقرّبوا   هذي السيوف الداميات غروبها
أحييت له ولمصر أيَّ مجادة   هي زخرهُ المأثورُ وهو وهوبها
هيهات تُنبتُ تربةٌ غيرَ العلى   ما دام يُسقى بالدماء خصيبها

علي محمود طه

تعقيبات

للأستاذ أنور المعداوي

حول العبقرية والحرمان :

أستاذى ... ...

قرأت لـكم مقالا تحت عنوان « العبقرية والحرمان » بأحد أعداد الرسالة الزهراء . وكنت كـكل كتاباتك ملهماً مبدعاً حتى أننى قرأت المقال مرات ومرات ، واستوقف نظرى بين ثناياه كلمات كتبتها عن « بيرن » الشاعر الإنجليزى العظيم عندما تقول : « إن بيرون فى الأدب الإنجليزى قد أبدع أعظم آثاره الفنية وهو يتقلب فى بحبوحة من العيش لا تتهيأ إلا لمن كان فى مثل مركزه الاجتماعى العظيم » . . وفى الوقت نفسه تحاول السيدة أمينة السعيد فى كتابها عن شاعرنا هـذا : وهو أحد أعداد سلسلة « اقرأ » أن تنقض هذا الرأى وأن تقول إن التاريخ الأدبى لم يخلد « بيرون » وأشعاره إلا يوم أن كان يعيش تحت ظلال الحرمان ! وإليك هذه السطور التى كتبتها عنه : « كانت طبيعة بيرون الحقة إذا حزن وتألم فاض بالشعر قلمه فى سهولة وقوة وعذوبة ، وإذا سعد وهدأت ثورته هدأ الوحى بهدوء نفسه وضعف بضعف ثورته ، وظل على هـذا الحال طوال حياته ، فسجلت أيام الشقاء أروع قصائده وأكثرها خلوداً » . . إلى هنا ينتهى رأى الـكاتبة الأديبة . وهو رأى يحتاج إلى التأمل العميق والحـكم بأى الرأيين أصوب ... إننا نقدس حرية قلمك ونزاهته ، ونأمل أن يكون الرد على صفحات الرسالة .

عبد العال حسن اسماعيل

(معهد فؤاد الأول بأسيوط)

أشـكر للأديب الفاضل كريم التقدير وأدب الخطاب ، وأسجل إعجابى بهؤلاء الشباب المخلصين للأدب والفن من طلاب الأزهر فى هذه الأيام ؛ وإنها لظاهرة تبشر بالخير فى مجال خلق جيل جديد يقرأ ويناقش وينهل من ينابيع المعرفة فى شتى فنون الفـكر وألوانه ... من حق هذا الجيل الجديد أن أحييه على صفحات « الرسالة » ، لأن الـكثرة الغالبة فيما أتلقاه من رسائل ممتازة هى من طلاب الأزهر لا من طلاب الجامعة !

بعد هذا أجيب الأديب الفاضل بأن هذه الـكلمات التى جرى بها قلم السيدة أمينة السعيد تنطبق كل الانطباق على طبيعة شاعر مثل هنريك هاينى ، وتبعد كل البعد عن طبيعة شاعر مثل لورد بيرون . . ولقد كنت أرجو أن يكون رأى الأديبة المصرية قائماً على دراسة شعر بيرون مرتبطاً بحياته ومقترناً بطبيعته النفسية والخلقية ، ولو أجهدت نفسها فى هـذه الدراسة لخرجت برأى غير الرأى ونظرة غير النظرة ، ولـكن كتابها فى ميزان أدب التراجم لا يعدو أن يكون قصة طريفة تدور حوادثها حول شخصية بيرون ومغامراته ونزواته ورحلاته ! ومعنى هـذا أن الدراسة النقدية لشعره لم تحظ من قلمها بنصيب ، وكذلك الدراسة النفسية فى مجال الـكشف عن صلة الفن بالحياة ، هناك حيث تكون النفس الإنسانية أشبه بمرصد يسجل كل ما يتلقاه من هزات القلب والشعور !

شخصية بيرون الأدبية والإنسانية شخصية جلية المعالم واضحة السمات . لقد انحدر من صلب أسرة ورث فيها الشذوذ فى النفس والخلق أبناؤه عن آباء ، ولـكن بيرون خرج إلى الدنيا وفى دمه مزيج من شرور الوراثة ومواهب الفنان ، ولقد خففت هذه من حدة تلك فلم يلق الحياة بالشر المطلق الذى يلغى الإحساس بالألم العارض والهم العابر ووخزات الضمير . . كان جل همه أن ينشد متعة النفس ولذة الجسد ونزوة العاطفة ، لا يعنيه من دنياه غير اللحظة التى يعيش فيها وتعود عليه بكل ما يشتهيه الرجل الجميل المدلل الذى لا يمد عينيه أبداً إلى أمام ! وفى محيط الشر والإثم كان « الفنان » الذى فى دمه يستيقظ من حين إلى حين ، ومن هنا كان بيرون يتألم ولـكنه الألم العابر كما قلت ، يطرق بابه ليرتد عنه بعد لحظات أمام جموح الشباب المترف الذى يحطم فى سبيل غايتـه كل ما تعارف عليه المجتمع من حدود وقيود ! الألم فى حياة بيرون لم يكن ألماً بالمعنى المفهوم عند شاعر مثل هاينى ، ولـكنه كان لوناً من السخط على الحياة يزول وينقضى حين تفسح الحياة طريقها للفتى المدلل ليمضى إلى غيـه وهواه ! وما أكثر ما تنحت الحياة عن طريقه وهيأت له كل ما يصبو إليه من تحرر وانطلاق ، وفى رحاب هـذا التحرر كانت تنبعث أغانيه... حلوة ، صافية ، عميقة. لقد خلق بيرون وفى دمه طبيعة بلبل لا يجيد التغريد إلا إذا رأى الجو صحواً والسماء صافية ، فإذا امتلأ الجو بالغيوم وتوارى النور خلف حجب الضباب سمعت منه بعض الغناء ، ولـكنه الغناء المختنق ينبعث من أوتار حنجرة

ساخطة ، ثائرة ، تنعى هذا الظلام الذى لا يتيح لها أن تصدح كما تشاء ! من هذه الكلمات الوجزة تستطيع أن تضع يديك على مفتاح هذه الشخصية التى لا غموض فيها ولا تعقيد . . . يقول بيرون : « لقد هببت من نوى ذات صباح فألفيتنى مشهوراً يتردد اسمى على كل لسان » ، قالها بعد أن دفع بديوان شعره الأول إلى أيدى الناشرين فدفعوا باسمه إلى السماء ، وكان ديوانه هذا الذى حقق له أسباب الشهرة والمجد والخلود هو « تشايلدهارولد » ، وإنه فى رأى الفن لخير أعماله الأدبية على الإطلاق ! . . . لقد عادت قريحته الوثابة بهذا الشعر فى لحظات الصفاء ، هناك حيث قضى بيرون فى ربوع الشرق أجمل أيامه وأسعد لياليه : كأس خمر معتقة ، وقلب غادة خفاق ، وذهب يسيل بين يديه ، وزورق يمخر به عباب البحر إلى أثينا وأزمير ومالطة واستانبول ، وهذه هى الحياة . . الحياة التى كانت تفجر الشعر فى أعماقه تفجيراً ، وتهدى إلى عشاق الأدب والفن أروع ألحانه وأعذب أغانيه ، هناك فى « تشايلدهارولد » !

وإذا ما تردى بيرون فى هوة الإثم والفسق والفجور سعدت نزواته وسعد فنه وسعد قراؤه .. إنها لحظات الصفاء بالنسبة لرجل يرى السعادة فى إشباع رغبات الجسد ، ولو تركزت هذه الرغبات الجامحة الشريرة فى شخص « أوجاستا » أخته من أبيه . . . ومن هذه النزوة المحرمة فى شرع العرف والسماء يتدفق إبداع بيرون فى « عروس أبيدوس » ، وهى القصة الشعرية التى تصور قصة الهوى الآثم بين « زليخا » وأخيها « سليم » أو قصة الهوى الآثم بين « أوجاستا » و « بيرون » على التحقيق ! بحيث أنه سجل ألمه المنبعث من وخز الضمير على ما اقترف من إثم فى بعض شعره ، ولكن الحقيقة التى بقيت لنا من شعره وحياته تؤكد لدارسيه أنه لم يكن يفرغ من آلامه العابرة حتى يعود إلى لذاته الدائمة ، فيسهب ويبدع هنا ويوجز ويفتر هناك .. يسهب حيث تطول اللذة ويوجز حيث يقصر الألم ، وما الفن إلا انعكاس صادق من الحياة على الشعور .

إن العبقريات كما سبق أن قلت معادن : بعضها يتوهج فى ظلال الترف والنعيم ، وبعضها يتأجج فى رحاب الفاقة والحرمان ، وبعضها يخبو بريقه إذا ما انتقل من حال إلى حال .. ومن البعض الأول كان بيرون ، ومن البعض الثانى كان هاينى ، ومن البعض الثالث كان جورك ، ولعل فى هذه المجالة ما يهدى الأديبة المصرية إلى معالم الطريق !

الى صديقى الفنان المجهول :

رسالتك القوية الروح نقلتنى إلى عالمك .: إن عالمك كما بدا لى من خلال كلماتك ترفرف عليه الإنسانية بجناح من وقدة العاطفة واشتعال الوجدان . لقد ناديتنى بهذه الكلمات المميزة : « أخى فى الفن ، أخى فى النقد ، أخى فى العروبة ، أخى فى الإسلام ، أخى فى سماوات الفن الإنسانى الرفيع » .. وشاء ذوقك المصفى أن تضفى على قلمى المتواضع من الثناء الجم ما لا طاقة لى على ذكره !

لماذا آثرت ألا تذكر لى اسمك ؟ إننى أود أن أعرفك أيها « الإنسان » .. ويسرنى أن تبعث إلى بشىء من إنتاجك لأراك رأى الفكر حين يعز على أن أراك رأى العين !

تسألنى ما هى الأبحاث التى تتلغل إلى الأعماق وحازت قبولى ، وما القصص الذى قدرته وما التراجم والدواوين والأبحاث النقدية التى أرى فيها ومضاً من فكر ونوراً من حس ، وإدراكا للقيم الحقيقية دون التفات إلى البهرج الزائف والغلاف المصنوع ؟ معذرة إذا قلت لك إن هذا السؤال يحتاج إلى شىء من التحديد ، فأنا لا أدرى إذا كنت تريد الجواب عن هذا كله فى نطاق الأدب العربى أم فى نطاق الأدب الغربى أم فى نطاقهما معاً ! إننى فى انتظار رسالة منك تحدد لى فيها ما تريد الجواب عنه.

ولك ياصديقى المجهول تحية ملؤها الود الخالص والتقدير العميق

لحظات مع ايليا أبى ماضى :

قلت فى عدد مضى من « الرسالة » إن فى شعر المهجر شيئاً يثير إعجابى ، وأوثره بتقديرى ، وأشعر نحوه بتجاوب الفكر والعاطفة ... ذلك هو عمق الصلة بين الفن والحياة ! الحياة فى فى شعر المهجر نفس عميق ، وهمس رفيق ، ونبع شعور متدفق . ولعل هذه القصيدة التى صدح بها أبو ماضى فى الحفلة التكريمية التى أقيمت له فى دمشق من خير ما قرأت إشراقة لفظ ، ورحابة أفق ، وأصالة شاعرية ... عنوان القصيدة « عجباً لقومى » ، ومطلعها هذه الأبيات :

حى الشآم مهنداً وكتابا والغوطة الخضراء والمحرابا
ليست قبابا ما رأيت وإنما عزم تمرد فاستطال قبابا
فالثم بروحك أرضها تلثم عصوراً للعلى سكنت حصى وترابا

هنا وفى كثير من شعر أبى ماضى تلمس الصدق فى الفن كما تلمس الصدق فى الشعور ، وحسب الشاعر المطبوع أن يعبر عن وقع الحياة على وجدانه فيصدق فى التعبير ، وحسبه أن تمر به

التجربة الشعورية فيسجلها فى صدق وأمانة ، وحسب الناقد أن يقتنع بمظاهر الصدق الشعورى فى تلوين الصورة ، وأن ينشد بعد ذلك مظاهر الصنعة الفنية فى إبراز الإطار ! أرأيت إلى التناسب النادر بين ضخامة اللفظ والمعنى والخيال فى البيت الثانى ، وإلى قوة الوثبات التعبيرية والنقلات الموسيقية فى البيت الثالث ؟ إن الإيقاع هنا يتعاون مع التعبير فإذا الشعور ينساب مع رنين الكلمات ويهتز تجاوباً مع درجات السلم الموسيقى : فالثم بروحك أرضها — تلثم عصوراً للعلى — سكنت حصى وترابا .. إن التوزيع الإيقاعى هنا أشبه بتوزيع الضوء فى يد مهندس فنان !

وانظر إلى هذا التوزيع الممتاز مرة أخرى حين يخاطب « بردى » بهذه الهمسات :

روح أطل من السماء عشية ... فرأى الجمال هنا لحن فذابا
وصفا وشف فأوشكت ضفاته ... تنساب من وجه به منسابا
بردى ذكرتك للعطاشى فارتووا ... وبنى الهوى فترشفوك رضابا
مرت بك الأدهار لم تخبث ولم ... تفسد وكم خبث الزمان وطابا

وإذا ما انتقل أبو ماضى من مناجاة « بردى » إلى مناجاة « شهيد ميسلون » نقلك معه من أفق إلى أفق .. إن صوته الهامس هناك قد بدأ يعلو هنا فى نبرات قوية صاخبة ، وكذلك موسيقاه .. إنها لم تعد تلك الأنغام الهادئة الوديعة التى تنطلق من ناى أشبه بناى الرعاة ، ولكنها تستحيل هنا أنغاماً أخرى تهز مسمعيك منها ضربات موسيقية عاصفة ، كتلك التى تطالعك من « صوناتة » لبيتهوفن قبل أن تشرف على الانتهاء :

إنى لأزهى بالفتى وأحبه ... يهوى الحياة مشقة وصعابا
ويضوع عطراً كلما شد الأسى ... بيديه يعرك قلبه الوثابا
ويسيل ماء إن حواه فدفد ... وإذا طواه الليل شع شهابا
وإذا العواصف حجبت وجه السما ... جدل العواصف للسما أسبابا

هنا لون من الغناء ، ولكنه الغناء الحماسى الملتهب الذى يتلاءم وشعر الملاحم ، وهكذا يكون الشعر : همساً فى مواضع الهمس ، وحرقاً فى مواقف الحنين ، وارتفاع نبض وجهرة صوت فى لحظات التوهج والتوثب والانطلاق ! . . وقف طويلا أمام هذه الصورة الفنية التى اكتملت لها الأبعاد والزوايا فى مجال التسلسل التعبيرى : يضوع عطراً إذا ما عرك قلبه الأسى — يسيل ماء إذا ما حواه فدفد — يشع شهاباً إذا ما طواه ليل — يجدل العواصف أسباباً للسماء إذا ما حجبت العواصف وجه السماء ... إن الشاعر هنا لا ينظم فحسب ، ولكنه يشرف من قمة الفن على الحركة النفسية فى شعره ، كما يشرف الجندى البارع من فوق منصته على حركة المرور فى ميدان يموج بالمارين !

بعد هذه المناجاة الحارة لشهيد ميسلون يضرب أبو ماضى بجناحيه القويين فى أفق آخر ، حين يعرض لموقف العرب المتخاذل من القضية الفلسطينية . . . ومعذرة إذا ما اقتصرت على ترديد أبياته فى هذا المجال بينى وبين نفسى لأن قلم الرقيب هناك ! حسبى أن أثبت هنا هذه الصرخات :

دنياك يا وطن العروبة غابة ... حشدت عليك أراقماً وذئابا
فالبس لها ماء الحديد مطارفاً ... واجعل لسانك مخلباً أو نابا
لا شرع فى الغابات إلا شرعها ... فدع الكلام شكاية وعتابا
هذى هى الدنيا التى أحببتها ... وسقيت غيرك حبها أكوابا

إن وراء هذا الشعر شاعراً جبار الجناحين مكتمل الأداة !

رأى فى ترجمة آلام فرتر :

فى جلسة جمعت بين نفر من أسرة « الرسالة » وزائرى ندوتها الأدبية ، دار حديث عابر حول الكلمة التى عقبت بها على رأى الأستاذ سلامة موسى فى ترجمة آلام فرتر للشاعر الألمانى جيته . . . وكان التعليق الوحيد من الأستاذ صاحب « الرسالة » هو أن مد يده إلى أحد أدراج مكتبه ، ثم أخرج منه رسالة بعث بها إليه المستشرق الألمانى الدكتور جولياس جرمانوس حول ترجمته العربية لآلام فرتر . وتناولت الرسالة وقرأتها فإذا هى قطعة من التقدير العميق والإعجاب البالغ ، بترجمة يقول عنها الدكتور جرمانوس إنها تستحق منه خالص التهنئة على مطابقتها للأصلين الألمانى والفرنسى ، مطابقة بلغت الغاية فى الأمانة والصدق وبلاغة الأداء !

ولم أجد بداً فى سبيل تحديد القيم ووضع كل شىء فى مكانه ، من أن أطلب إلى الأستاذ الزيات أن يأذن لى بترجمة هذه الرسالة التى فرض عليه التواضع أن تبقى فى مكتبه دون أن يطلع عليها الناس ... وفى العدد المقبل أقدم الترجمة العربية لرأى المستشرق الألمانى فى ترجمة صاحب « الرسالة » لآلام فرتر .

من الأعماق ولوعة الذكرى :

لو علم الأستاذ كامل محمود حبيب أى جراح أثارتها فى نفسى قصته ، لتردد طويلا قبل أن يتفضل مشكوراً بإهدائها إلى ... أيها الأديب الصديق ، لماذا بعثت بكلماتك من طواها حلم دفنته ، أشلاء ماض جريح ؟ إن هذا الماضى الذى تنهد يوماً فى سحيق عظامى ، ستجيبك أطيافه فى العدد المقبل وتناجيك رؤاه !

الأدب والفن في أسبوع

للأستاذ عباس خضر

الأدب والفن في المعرض :

لم يخل المعرض الزراعي الصناعي القائم في الجزيرة ، من روائع الفنون ، وأهمها الرسم والنحت . وأبرز ناحية تجلى فيها الفن بالمعرض « متحف الحضارة » الذي يمثل الحضارة المصرية من العصر الحجري القديم إلى العصر الحديث ، بالتماثيل والنماذج واللوحات والخرائط . وأول ما يطالع القادم على التحف تمثال كبير للانسان الحجري القديم وقف في مدخل كهفه ، والمنظر رائع من غير شك ، والتمثال موفق التكوين من حيث الدلالة على فكرته ، غير أن باب الكهف الحجري محكم منتظم الشكل مما لا يتفق مع العصر الذي يمثله ، وفي القرى المصرية الآن أبواب أقل منه إحكاماً وانتظاماً ، وما يتصور العقل أن يكون باب الكهف في العصر الحجري القديم أكثر من حجر غير منتظم يسد به المدخل على قدر الإمكان البدائي .

ويشتمل التحف على حجرات خصص كل منها لتمثيل عصر من العصور ، وقد احتوت على مجسمات ورسوم وأدوات تصور مظاهر الحياة في العصر . وأنت تحتاج إلى نحو ساعة تطالع فيها تلك المعروضات الفنية ، فما تنتهي منها إلا وقد ألمت بالخصائص البارزة في عصور التاريخ بمصر ، من العصور البدائية إلى أن ترى الفاروق يرفع العلم المصري على القلعة ، ويوزع الإقطاعيات على صغار الزارعين ، ويضع الحجر الأساسي لمشروع كهربة خزان أسوان ، ولو تأخر الفراغ من إعداد التحف قليلا لرأيت به الفاروق يعانق بطل الفالوجة الأميرالاي السيد طه بك في يوم عيد البطولة .

وقد استرعى انتباهي في التحف ما كتب على كل من المناظر الطبيعية المجسمة وهو « ديوراما (١) » و « ديوراما (٢) » الخ . والكلمة تدل على المنظر الطبيعي المجسم . ويقول المشرف على التحف : لم يضع لنا المجمع اللغوي كلة عربية بدل « ديوراما » والتحف كله عربي مصري صنعاً ولغة ما عدا (الديوراما) .

وقد انتثرت في المعرض — عدا متحف الحضارة — آثار فنية جميلة ، وخاصة في معرض وزارة المعارف الذي صفت به تماثيل فريق من أعلام النهضة المصرية في شتى النواحي : كملي مبارك ، وقاسم أمين ، وسعد زغلول ، ومختار المثال وغيرهم . وهناك مكان خصص لمعروضات دار الكتب المصرية التي تتكون من بعض المخطوطات ، وقد وقف جماعة من الطلبة الأزهريين الزائرين إزاء «متن الكافية» يقرؤون بعض عباراته ويتضاحكون ولسان حالهم يقول : هذه الكتب وراءنا وأمامنا !

وفي معرض نقابة الصحفيين رأيت العدد الأول من جريدة « الأهرام » العريقة ، وفي صدره مقال بغير عنوان أوله : « كيفما وجه العاقل أفكاره باحثاً عن حركة العالم الإنساني يرى فروع الحوادث راجعة إلى أصل واحد » فقرأت المقال وسرت مع الكاتب وهو يبحث عن حركة العالم الإنساني ، حتى انتهيت إلى آخره حيث يقول :

« فنلتزم وقتئذ بعد معاناة البحث أن نرجع هذه الفروع إلى أصل واحد أنتج هذه النتائج وندعوه بالمقال ودليل الحال حب ذات غير مرتب أصدر طمعاً فعل ما ترى » وهذا الحكم المبني على « التأمل في حركة العالم الإنساني » يدل على أن العالم كان في ذلك العهد كما هو الآن : يسوده « حب ذات » وإن كان قد سار « مرتباً » و « فعل ما ترى » لا يزال الطمع « يصدره » فالعالم هو هو لم يتغير غير الشكل وطريقة التعبير ...

ولا أريد أن أمعن في التأمل والفلسفة كما أمعن كاتبنا القديم فأنتقل إلى « الأخبار البرقية الواردة إلى الاسكندرية » وليس السجع في العنوان فقط ، فهذا أيضاً مطلع الأخبار البرقية : « باريز في ٣٠ تموز » ولو أن صحف اليوم تلتزم مثل ذلك النسق لكنا نقرأ فيها مثل « قصر شايو في ٣٠ مايو » .

ولعل من مظاهر الفنون الجميلة في المعرض ، الرقص ... رقص الخيل على نغمات الموسيقى البلدية . ويظهر أن فن الرقص أصيل لدى الفرس ؛ فإن مشيتها العادية تبدو فيها مخايل الفن

والمدربون الذين يرقصونها يتجهون بها إلى «هز الأرداف» ولو أن الفرنسيين التفتوا إلى موهبة الرقص في الخيل لاتجهوا بها إلى (الباليه) ومن يدرى ؟

وبعد أن ترى تلك المظاهر الفنية في المعرض العام تدلف إلى «حديقة الملاهي» فتشاهد الاعتداء المنكر على جمال الطبيعة في حديقة الجزيرة التي كانت من أجمل منازه القاهرة وأحفلها بالجمال ، وطالما كانت مرتاداً للأدباء والفنانين ، ومجلى للقرائح ، ومراحاً للناشئة وقد كنا حين نكتب في موضوعات الإنشاء عن «البساط السندسي» نتخيل أرض تلك الحديقة الخضراء الناضرة ، فليس من الهين أن نرى الآن ذلك البساط يطوى لتحل محله الأراجيح و «الأميرة بنورة المسحورة أعجوبة الزمان وتحفة القرن العشرين التي تخرج من زهرية الورد وتتكلم ...»

وقد تبدل زوار الحديقة خلقاً آخر ، فبعد أن كان يغشاها رواد الطبيعة والهدوء أفراداً حالين ، أومثنى حبيبين ، أو زرافات مرحين ؛ صارت مطلباً للراغبين في لعب الولدان وعبث الطفولة ، ومكسباً لذوى الحيلة ، في ابتزاز الأموال ، من الأجانب .

كشكول الأسبوع

□ نظمت شاعرة انجليزية هي مسز ج . ب . ويكسن — أبياتاً بالانجليزية لمناسبة عودة أبطال الفالوجة ، ورفعتها إلى مقام صاحب الجلالة الملك . ومنها ما ترجمته :

« أيها الصناديد ، أبناء مصر أرض الأمل ، أبشروا فهذه ساعتكم العظيمة » .

□ رأى معالى الأستاذ على أيوب وزير المعارف أن التقدير الأدبي للمرحوم الجارم بك يقضي بتقرير تعليم أبنائه بالمجان في جميع مراحل التعليم ، فكتب بذلك إلى مجلس الوزراء للموافقة .

□ استقال معالى الأستاذ محمد رضا الشبيبي من رياسة المجمع العلمي العراقي ، لصدور قانون بالعراق يمنع الجمع بين عضوية البرلمان وأى منصب آخر ما عدا الوزارة . ومما يذكر — على سبيل المماثلة — أن معالى الأستاذ لطفى السيد باشا رئيس مجمع فؤاد الأول للغة العربية ، عضو بمجلس الشيوخ .

□ نشرت جريدة « الهاتف » البغدادية افتتاحية عتبت فيها على الشبيبي ، لأنه ذكر بعض الأسماء وبعض الصحف والمجلات دون بعض ، في محاضرته عن النهضة الأدبية بالعراق في مجمع اللغة بالقاهرة .

□ دعا الأستاذ خليل سكاكيني ، في بحث له بالمجمع اللغوى ، إلى إلغاء قواعد اللغة بجملتها بدل محاولة تيسيرها مرة بعد مرة ، ويرى الأستاذ أن يكسب الناشئ الملكة اللغوية من الكلام الفصيح بمرانه عليه ومخاطبته به وتكليفه القياس عليه في التعبير عما بنفسه .

□ كانت الإدارة العامة للثقافة بوزارة المعارف قد طلبت إلى الدكتور ابراهيم ناجى أن يقوم بترجمة ما يختاره لشكسبير ، لنشره ضمن الكتب المختارة للترجمة . وهو الآن يترجم قصة « شتاء » .

□ قام الأستاذ محمود لطفى أمين مكتبة المجمع اللغوى ، بتصوير كتاب « التهذيب » للأزهرى المخطوط بدار الكتب ، وضمت النسخة المصورة إلى مكتبة المجمع .

□ ثارت بالأهرام مناقشة حول (الفول المدمس) فقائل يقول إن أصل الكلمة « مدمث » أى ملين ، وآخر يرجعها الى « التدميس » بمعنى التغطية والستر . ولا شك أن « الطعمية » هي أيضاً تستحق مثل هذا الاهتمام فهي (أم الفلافل)

وأذكر بذلك أن إخواننا السودانيين يطلقون كلمة «مدمس» على (الفول) الذي نسميه نحن « سوداني » ويطلقون على مدمسنا (الفول المصرى) .

□ تعمل الجمعية الزراعية على ترجمة بعض الأفلام الزراعية لعرضها في القسم الخاص بها في المعرض في أوائل أبريل القادم .

□ قال كاتب فرنسى : لو أننا أعددنا كمية من الورق قطعاً صغيرة وكتبنا في كل منها كلمة تنتهى بلفظة (لزم) كالريالزم والسريالزم والسوشيالزم ، ثم وضعنا الورق في قبعة وخلطناه فيها لحصلنا من مجموع هذه الكلمات على فصل الفلسفة .

صور شعرية الشعراء :

أعلنت رابطة الأدباء يوم الأحد الماضي عن حديث في ناديها عنوانه « رأى شاعر في شعراء الجيل » يعرضه الأستاذ على الجبلاطى ، والشاعر المقصود هو الأستاذ أحمد مخيمر ، وقد نظم رأيه في خمسة وأربعين شاعراً ، أو صنع لكل منهم — كما يراه — صورة شعرية بأبيات اتبع فيها طريقة أبي العلاء المعرى في « لزوم ما لا يلزم »

وقال الأستاذ الجبلاطى إنه يقصد عرض لون من الشعر وإثارة الآراء فيه . وقد استمعنا إلى هذه الأشعار ، وطربنا لبعض ما تضمنته من دعابات وما بدا في بعضها من ومضات ولكني ألاحظ أن أكثرها تنقصه عناصر الصورة الأساسية وهي ملامح الشخصية الشعرية والقليل ما تبدو فيه هذه الملامح ومن هذا القليل قوله في الدكتور زكي مبارك :

أدب بنى مجداً وصيتاً ورفعة
وما فتئ القدار يهدم ما يبنى
فليت الألى عابوا عليه غروره
رأوا ما يلاقى من عقوق ومن غبن

وقوله في الأستاذ محمود حسن إسماعيل :

قد ينظم الشعر ولكن بمجمة
فشعره أفق توارت أنجمه

وراء كل خاطر منجمه
فيا ذوى القدرة من يترجمه ؟
قد ضاع من بين يدىَّ معجمه

ومنه ما قال فى الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالى ، وأوله قوله :

متأنق فى شعره ولباسه   فكأنه لقريضه كواء

أما الكثير الذى يفقد ملامح الصورة ، فهو إما مدح أو هجاء . والهجاء هو الغالب ، وقد نال به من شعراء أفاضل . ويحسن بخيمر صنعاً لو أنه طوى هذا النوع من شعره ، فنشرُه يجنى على ما يبدع من ألوان أخرى ، وحسبه « لزوم ما لا يلزم » فى القافية !

بين صديقى الأستاذ الأسمر وبينى :

قرأت ما كتبه صديقى الفاضل الأستاذ محمد الأسمر فى العدد الماضى من « الرسالة » رداً على ما كتبته فى الصلة بين قصيدته فى رثاء المغفور له محمود فهمى النقراشى باشا ، وبين قصيدة الزين فى حافظ إبراهيم . والحق أن كرم الأستاذ الصديق فى الرد أسرنى وكادت مجاملته تمسكنى عن معاودة الموضوع ، لولا منازعة القلم إلى إزالة الغبار عن الحقائق الأدبية فيما يلى :

١ — قال صديقى الأستاذ الأسمر : « إن قصيدة الزين رحمه الله لا علم لى بها » وقال : « ولا هى من المتداول المعروف بين الناس » وأنا لا دخل لى فى علمه ، ولكن أقول إن القصيدة متداولة معروفة بين الأدباء ، ومما يدل على ذلك أنى لما أردت كتابة الموضوع ورأيت أن أتثبت من نصها ، قصدت إلى دار الكتب المصرية ، وما إن أبديت رغبتى فى الاطلاع على قصيدة الزين حتى بادرنى الأستاذ أحمد حسين بالقسم الأدبى فى الدار ، بأن القصيدة لديه وأنه نسخها بخطه وقت نشرها لإعجابه بها ، وفى نفس الوقت أسرع بعض الحاضرين إلى إنشادها .

٢ — نعم ليست المعانى المطروقة ملكاً لشاعر دون آخر ، والموافقات اللفظية جائزة الوقوع بين الشعراء ، ولكن الأمثلة التى أتى بها الأستاذ الأسمر ذاتها تدل على أن الأمر فى ذلك لم يعد العبارة أو الشطرة أو الخاطرة . والذى يهمنا موافقة ستة أبيات لخمسة فى بعض الألفاظ ، وفى المعانى باختلاف يسير فيها ، مع اتحاد الوزن والقافية ؛ فهل يصح أن نسمى اجتماع كل ذلك مواردة ؟

٣ — لم أتنبه لأخذ الجارم من قصيدة شوقى فى إسماعيل صبرى ، وليست هذه أول مرة يأخذ فيها الجارم من شوقى . وارتكاب أحد أمراً لا يسوغ أن تأتى مثله .

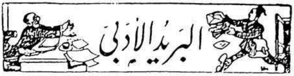
وللصديق الكريم تحيتى ووادى ...

من الأعماق :

يسرنى أن أكون أول قارئ لصديقى الأستاذ كامل محمود حبيب ، يبدى رأيه فى ختام قصة « من الأعماق » المنشورة فى رسالة الأسبوع الماضى ، فأقول إن موقف جلال موقف غريب إذ يصر على الزواج من إلهام بعد أن يعلم أن فى حياتها شاباً آخر هو عادل ، فمن أبسط الأشياء عند الخطبة أن يتحرى الخاطب عن مثل ذلك حتى لا يعانى شقاء العيش مع زوجته المتوقعة إن كانت تحب رجلا آخر ، ولكنا نرى الحقيقة تسعى إلى جلال ، ومع هذا لا يزال يصر ! فهو إذ ينسحب من الميدان لا يكون مضحياً بل ناجياً بجلده من الشقاء الذى ينتظره .

ولكن المشكلة — فيما يظهر لى — إنما هى كيف يقتنع جلال بضرورة الانسحاب ، أو كيف يحمل على ذلك ؟ أرى أن يبتعد عادل قليلا ويترك المعركة تدور بين كرامة جلال — ولابد أن يستشعرها مع الزمن والتكرار — وبين فتور إلهام وإعراضها عنه ، ويمت عادل بالود إلى قلبها من بعيد ، وسترى الأم سوء حال ابنتها فتشفق عليها وتتحول إلى جانب عادل فتكون عاملا مهما فى إنهاء الموقف ، بحيث يرى الضابط ضرورة فوز كرامته فى المعركة بالانسحاب ...

عباس خضر



أين العلوم في (الرسالة) ؟

يسأل الأستاذ عبد المنعم العزيزي الأستاذ أنور المداوي :

« أين العلوم في مجلة الرسالة » في حين أن هذه المجلة تحمل هذا الشعار : « مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون » .

لا تلومن الرسالة يا سيدي لأنه إذا كانت كبرى المجلات المخصصة للعلوم قد انمسخت وخلعت عنها ثوب العلم لكي تكتسي ثوباً فضفاضاً ملوناً مزخرفاً لا يمت إلى العلم بشيء ، فلا غبار على الرسالة إذا اقتصرت على الأدب لأن قراء الأدب كثار والأدب أقرب منالاً من العلم . وإذا كانت المجلة الموسومة بالعلم لم تخصص عُشر صفحاتها لمقالة علمية واحدة لأن بين قرائها عشرة بالمئة على الأقل يفهمون العلم ويودونه ، فلا بدع أن تحرم الرسالة ١٠ بالمئة من قرائها من قطرات العلم مع أن في قرائها ٢٠ و ٣٠ بالمئة من أهل العلم ويتوقون إلى الاطلاع على ما يستجد من النظريات العلمية ؟ فإذا خصصت الرسالة في كل عدد ٤ أو ٦ أو ٨ أعمدة لبحث علمي تكون قد أتمت رسالتها وبزت غيرها .

في معظم ما نصدره مطابعنا من دوريات ورسالات وكتب لا تحيد عن الأدب ، ومعظمه أدب قديم نلوكه ثم نتقيؤه وقد نتقيؤه زنخاً ، وليس في دور العلم إلا المؤلفات التعليمية للمدارس وطلاب العلم .

ما من مدنية قامت على الأدب وحده . وقد يمكن أن تقوم مدنية على العلم وحده . إن مدنية العالم الحديثة قامت على العلوم الطبيعية والكيماوية والرياضية والفلكية والطبية الخ . فإذا شئنا نحن أن نبني في شرقنا العربي مدنية خاصة بنا يجب أن نحذو حذو أوربا وأميركا في العناية الأولى بالعلوم ، وإلا فنحن وراء وراء وراء . ولا يمكن أن نتقدم إلى الأمام .

اليابانيون في قرن واحد شرعوا ينافسون الغرب ؛ لأنهم اقتبسوا العلم من الغرب، حتى إنهم اقتبسوا لغة غربية لكي يتعلموا العلوم بها فأصبحت اللغة الرئيسية لهم . أما أن نقتصر على زخرف الكلام والطباعة في صحافتنا فما هو إلا مرض يخدر العقول ويطمس الصواب .

يحفزني الأستاذ أنور المداوي إلى كتابة بعض مقالات علمية في الرسالة لكي تستوفي الرسالة حقها من العلم كما تستوفي حقها من الأدب والفن . فأشكره حسن ظنه بي وقد أبى طالبه وإن كنت في العلم دون ما يظن . وله وللعزيزي أطيب تحياتي .

٢ ش البورصة الجديدة — نقولا الحداد

أدب القصة وأدب المعقب :

تفضل الأستاذ الكبير محرر (التعقيبات) فتناول مقالي عن أدب القصة القصيرة بتعقيب جاء صورة صادقة لأدبه ، فقد توهم أنني عنيته بمقالي، كأن الرسالة مجلة منزلية تنشر وتطبع له وحده ، أما القراء فلا حساب لهم ، وراح يحاسبني — متهكماً — على الوقوف منه موقف الأستاذية وهو ما لم يجر في خاطري أبداً . وما توهمت لحظة واحدة أنني أقرر جديداً في أمر القصة ، إنما هي خواطر مرسلة ليس لي فيها إلا فضل الدراسة والتحصيل والاستنتاج ، وأقول بكل تواضع أنني واثق تماماً من صحتها .

وقد ترك المعقب كل ما أوردت في مقالي من حقائق — لأنه لا يستطيع هو ولا غيره أن ينقص منها حرفاً واحداً — وأمسك بتلابيبي ليحاسبني على ما توهمه ولم أقله مما يثبت جموح النفس وتمكن شهوة التهكم وتجريح الناس من نفسه

قال الأستاذ الفاضل « ... ينكر الأستاذ عطا الله أن مجال العمل الفني في القصة القصيرة مجال محدود ... » في حين أنني لم أقل إلا العبارة التالية : « من السذاجة أن يقول قائل إن الأقصوصة ليست ميداناً لعرض صور الحياة المختلفة بما تحفل به من كثرة وعمق وغنى وتنوع » وقد استنتج هو من عندياته أن عكس ما أقول لا بد أن يكون غير صحيح ، كأننا بصدد قضية جدلية ! كما أنني لم أقارن مطلقاً بين القصة الطويلة والقصة القصيرة ، ولم أذهب إلى أن القصة القصيرة تبلغ أعلى مراتبها في كل حين ، بل ذكرت أمثلة محدودة وقلت إن الشخصيات الفذة هي التي ترقى بالأقصوصة إلى مرتبة الأدب العالي الشامل العميق ، ومن البديهي أن مجال الأقصوصة في أيدي العاديين من الكتاب مجال محدود .

كما أنى لم أنكر مطلقاً – وليس هذا تراجعاً منى – أن القصة الطويلة أوسع مجالاً من القصة القصيرة أو أنها الميدان الوحيد الذى يتسع لدراسة تطور الشخصيات وتفاعلها مع الحياة دراسة وافية ، بل قلت إن الأقصوصة يجب أن تدور حول محور واحد وتعالج أمراً واحداً معالجة خاطفة فكيف استخرج الأستاذ المعقب من مقالى ما ذهب هو إليه ؟؟

ولماذا يحب الأستاذ المعقب أن يضع نفسه دائماً فى بؤرة الضوء ويلتمس لذلك شتى الحيل فيتوهم أنه المعنى بالحديث ، ويقول للناس إن الكتاب يرسلون إليه كتبهم راجين أن ينقدها ويفترض أنه الناقد التالى الأول فيملن فى زهو وصرامة أنه وجد أكثرها تافهاً لا يستحق العناء ؟؟

ويختم الأستاذ كلمته بقوله إننى فزت بجائزة من جوائز الدرجة الثانية فى مباراة القصة القصيرة التى أقامتها وزارة المعارف ، ومعنى هذا أن هيئة التحكيم لم تقدر فنى ... أليست هذه مغالطة تكشف عن عنصر آخر من عناصر نفسية كاتبها ؟؟ ...

نصرى عطا الله

دمس :

نشرت الأهرام كلمة لأحد الباحثين تحت عنوان « بين العامية والفصحى » ادعى فيها أن (الدمس) أصله (الدمث) بالثاء المثلثة بمعنى اللين ؛ وأقول إن هذا ليس بصحيح وإليك الأدلة :

أولا : اشتراك الدمس والدمث فى صفة وهى اللين لا يبرر أنه محرف عنه .

ثانياً : الدمس إدام مصرى وطعام محلى بحت وهو غير معروف للعرب .

ثالثاً : جاء فى « محيط المحيط » للبستانى ما نصه : المدمس طعام فى بلاد مصر يصنعونه من الفول المسلوق والخل والملح والزيت اهـ . ولم يقل أنه محرف عن الدمث مع أنه يعنى دائماً بالألفاظ الحديثة والكلمات الدخيلة .

رابعاً : جاء فى مادة (دمس) ما نصه : دمسه فى الشىء تدميساً دفنه وخبأه وأخفاه وغطاه وستره اهـ . ومن هذا أخذ المصريون كلمة الدمس وأطلقوها على الفول المطهى بوساطة الحمام أو الفرن أو نحوهما لأنه يوضع فى قدر بها ماء ويسد فمها جيداً وتدفن فى الرماد الحار حتى تنضج .

خامساً : يمكن اشتقاق كلمة المدمس من (الدمس) بكسر الدال وتسكين الميم وهو ما يتخلف من روث المواشى ويتخذ وقوداً يوضع فى الفرن ونحوه فيتخلف عنه رماد حار توضع فيه القدر بالطريقة السالفة .

سادساً : تسمع فى الريف كلمة (الدمسة) بكسر الدال وتسين الميم وهى عبارة عن مكان محفور أو غير محفور يوضع فيه الدمس السابق وتشعل فيه النار للتدفئة وغيرها ، ويقولون دمس الدمسة دمساً إذا وضع فيها الدمس . ومما يؤيد هذا : الفطير الدماسى ، وهو المصنوع على الدمس .

على حسن هلال

محرر بالمجمع اللغوى

بين نقد وتجنى :

أرسل إلينا الأستاذ عبد الرحمن الجميعى يقول إن لديه رداً على ما أخذه عليه الأستاذ المداوى فى « التعقيبات » ، ويرجو أن يفرغ منه هذا الأسبوع لينشر فى العدد القادم .

فصيح ثعلب والشروح التى عليه :

مجموعة جديدة فى فقه اللغة أخرجها الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجى المدرس بكلية اللغة ونشرتها مكتبة التوحيد بالجاميز فى نحو الخمسمائة صفحة .

وتشمل هذه المجموعة : كتاب فصيح اللغة لثعلب ، وكتاب شرح الفصيح للهروى ، وكتاب ذيل الفصيح للبغدادى ، وكتاب فعلت للزجاج ، وكتاب الاشتقاق الكبير لابن دريد . وكلها من أمهات الكتب فى اللغة العربية وفقهها .

ومع هذه المجموعة : دراسات وتحقيقات جديدة قيمة فى اللغة ، وشروح وتعليقات وافية .

ونشر معها لأول مرة فى تاريخ الثقافة العربية شواهد الكتاب لسيبويه مرتبة بحسب حروف الهجاء ، مع الإشارة إلى مواضع الشواهد من الكتاب لسيبويه .

ونحن فى غنى عن التنويه بهذا العمل العلمى ، وبقيمته اللغوية وأهميته للدارسين والباحثين .

ويطلب الكتاب من مكتبة التوحيد بالجاميز أمام الخديوية وثمن النسخة خمسة وثلاثون قرشاً .

الكتب

وميـــض الأدب
بين غيوم السياسة
لصاحب المعالي الأستاذ إبراهيم دسوقي أباظه باشا

بقلم الأستاذ أحمد أحمد العجمي

معالي الأستاذ إبراهيم دسوقي أباظه باشا وزير المواصلات ورئيس جامعة أدباء العروبة علم من أعلام الشعر والأدب والسياسة ، وهو بشخصه العظيم وأدبه الرفيع في غنى عن الإشادة بذكره والتنويه بفضله . وآخر الدلائل على علو منزلته في الشعر والنثر ، ورسوخ قدمه في النقد والتحليل ، كتابه القيم « وميض الأدب بين غيوم السياسة » .

ولعل السبب الأول في نشر هذا الكتاب حب المؤلف للشعر حباً سافراً متوقداً يجعله يقول عن القصائد : « وقد أكبر بعضها فأقرؤها واقفاً عند الوثبات التي تتخلل الشعر ... والشعر سحر وفتنة ، وقد افتتنت به ؛ وفيه خيال ، وفي الخيال تسلية ولذة ؛ وهو موسيقى ، وفي الموسيقى طرب وترويح وبهجة ؛ وهو مناجاة تتصل بالروح فتستولي على الشعور وتملك الوجدان . وأعتقد أن الذي لا يهتز لجيد الشعر جاهل أو بليد ، أما الجاهل فلا شأن لنا به ، وأما البليد فله عذره ، لأنه لم يخلق نفسه ، على ألا يلوم غيره ، وويل للشجي من الخلي » .

بهذا الكلام الجميل ، وبهذا الشعور العميق ، وبهذا القلم الصناع تناول المؤلف في كتابه أكثر الشعراء والكتاب المعاصرين ، فتحدث عن حافظ إبراهيم في موضعين حديثاً ألم فيه بميلاده ونشأته ونواحي نبوغه وذيوع شعره وما كان بين حافظ وبين « بني أباظة » من ود وإعجاب . ثم كتب عن شوقي فصلا صور فيه سحره وعبقريته وجمعه بين الثقافتين العربية والغربية ، وتوفيقه البارع في نظم رواياته الشعرية خاصة « مجنون ليلى » التي كان المؤلف يحفظها عن ظهر قلب . وسجل لأحمد محرم أكبر نصر ظفر به حين قال عنه : إنه شاعر الإسلام غير منازع في عصرنا هذا ، وأشاد بالإلياذة الإسلامية ورجا من معالي وزير المعارف طبعها .

وكتب عن خليل مطران بك شاعر القطرين وأبدى إعجابه بتقدير الناس له وكيف انعقد الإجماع على حبه ، ونوه بتجديده وبشعره الرقيق في الغزل وقال : إنني مولع بشعر مطران كل الولع .

ثم كتب المؤلف مقدمته الخالدة لديوان الدكتور إبراهيم ناجي « ليالي القاهرة » فأفاض في الحديث عن الجديد والقديم ، وعن اللفظ والمعنى ، وعن طرق تعبير المدرسة الحديثة في الشعر ، وكيف قوبلت هذه المدرسة بالحرب العوان ، وكيف انتصرت هذه المدرسة التي يمثلها ناجي . وأشار إلى الفروق الدقيقة بين المدرسة القديمة والمدرسة الحديثة في الشعر والتفكير ، وإلى شخصية ناجي وطابعه الواضح وعاطفته المتأججة في كل أشعاره الطريفة ، وقال عنه : إنني لأحب هذا الشاعر كل الحب ، ولا أعتقد أن حبي طغى على تقديري له ، فهو شاعر رقيق تصل معانيه إلى قلبك قبل أن تصل إليه ألفاظه في طلاوة وسهولة . وقال : إن ديوانه يمثل نهضة الشعر المعاصر وتطوره . ولعل هذا الفصل أبدع وأروع فصول الكتاب

ثم أبدى المؤلف إعجابه بالأستاذ محمود غنيم وقال : إن ديوانه « صرخة في واد » صرخة الأدب الرفيع سيرن صداها على مدى الأجيال بين آفاق العروبة . ونوه بخصائص الأستاذ الوضعي الوكيل في ديوانه الجميل « أصداء بعيدة » وأظهر خصائصه قدرته على سرعة النظم سرعة تكاد تكون ارتجالا ، وإجادته في الربيعيات خاصة في ديوانه « أغاني الربيع » ، ونظم الشعر الرائع في أسرته وأولاده حتى أعد ديواناً كاملاً سماه « عالمي الصغير » . وقال المؤلف عن الشاعر : فأنا إذ أقدمه إلى قراء الشعر العربي الحديث أقدم موضوعاً كاملاً من الأدب العالي والفن الرفيع .

وقص علينا كيف لقي الأستاذ أحمد عبد المجيد الغزالي في « غزالة » لأول مرة في مقدمته لديوانه « أحلام الفجر » — وسيصدر قريباً — وقال عنه : إنه شاعر تنبض العاطفة الجياشة في كل ما يصادف القارئ من قصائده ومقطوعاته ، وشبه ديوانه بالمعرض الفني العظيم ، وعلل كيف رآه مخترعاً متنبيا في آن ، أو شوقياً عقادياً معاً .

ويمتاز ما كتبه الناقد العبقري صاحب « وميض الأدب » في الشاعرين : الوضعي والغزالي بقوة التحليل ودقة التعليل

وبراعة التدليل والربط بين الشاعرين وأشعارهما برباط محكم أصلتهما به منذ زمان طويل .

وفى وميض الأدب كلمة عن الأستاذ الصاوى شعلان صدر بها كتابه « حكمة الشرق » وبين فيها مقدرته على الترجمة ومعرفته كثيراً من اللغات وفى الكتاب نص الكلمة القيمة التى نشرت فى صدر الرسالة منذ شهور بعنوان « أدباؤنا المعاصرون » يليها نموذج رائع من شعر الشاعر الكبير دسوقى باشا بعنوان « مصر والصين » وهو شعر جدير بوزير . ولا بد من التنويه هنا بأبحاث عظيمة فى الكتاب مثل « لماذا حاربنا الصهيونية » و « من مهرجان العروبة » وقصيدة العقاد فى تكريم المؤلف ، وهى قصيدة قيمة ، ومقدمة ضافية للعقاد فى صلة الأباظية بالأدب وحبهم له ، ومنزلة الدسوقى باشا وفضله على الأدب والأدباء ، وفى آخر الكتاب كلمة مناسبة للناشرين .

هذا عرض سريع لفصول الكتاب الذى وفق فيه معالى إبراهيم دسوقى أباظة باشا ودل على مقدرة بارعة وإحاطة واسعة بوفرة ما تمثل به من أشعار الشعراء ، وكان اختياره الحسن دليلا ناطقاً وبرهاناً صادقاً على ذوقه الرفيع .

ولم يخل الكتاب من مناقشات طريفة لبعض آراء كبار الأدباء ، كمناقشة المؤلف رأى الأستاذ عباس محمود العقاد فى الشاعر المجدد خليل مطران ، ومناقشته رأى الدكتور طه حسين بك فى معانى الشاعر الخالد حافظ إبراهيم للأباظيين ، ومناقشته رأى أستاذ الجيل لطفى السيد باشا فى شوقى وحافظ ، والمؤلف يبدى آراءه ويدلى بحجج قوية ناصعة تخالف هؤلاء الأعلام ، والرجوع إليها فى الكتاب أفضل من تلخيصها فى كلمات.

وللمؤلف تعبيرات جديدة محكمة كقوله : لغة الشعر غير لغة القاموس ؛ وتعبيرات سديدة حاسمة كقوله : فى رأيى أن الشاعر المجدد تمنيه الفكرة وبتصباه الموضوع ، وربما أبعده هذا عن جمال الأسلوب وإشراق الديباجة وحلاوة التعبير ؛ وتعبيرات لغوية دقيقة كقوله : أسمى اليتيم لطيما « واليتيم من مات أبوه واللطيم من مات أبواه والعجى من ماتت أمه » وتعبيرات ساخرة لاذعة كقوله : فليسمح لى الدكتور طه المعجب بالفيلسوف ديكارت القائل بنظرية الشك أن أشك فى إسناده هذا الرأى لأستاذنا الكبير لطفى السيد باشا ؛ وتعبيرات لطيفة ظريفة صريحة كقوله فى التعليق على قول مطران :

أقسمتُ ما أشركتُ فيك ولم يكن
لى فى الهوى دينٌ سوى التوحيد

بهذا البيت اعترف المطران بالإسلام دين التوحيد فاشهدوا عليه ! !

وتعبيرات أخرى يخفى مدلولها على كثير من القراء كقوله : هل يكون الشاعر الأول — بين شعراء الشباب — إبراهيم ناجى أم أبا شادى أم غنيما أم العوضى الوكيل أم أحمد الغزالى أم مخيمرا أم حماما ؛ وكتابة الأسماء بهذا الشكل الملفوف فيها ترتيب مقصود إلا فى اسم أو اسمين .

وفى الكتاب بعض آراء تقبل المناقشة ، ولا خير فى كتاب أدب وشعر ونقد ليس فيه آراء تقبل المناقشة ، كقول أديبنا الكبير فى شوقى : « تستدير الأجيال ألف عام حتى تعثر على من يقف فى صفه ويصح أن يقارن به ، شاعر واحد بعد ألف عام لك أن تفاضل بينه وبين شوقى — إنه المتنبى » هذا كلام يمليه حب شديد لشوقى يوشك أن يكون غلواً أو تعصباً ، والمتنبى يفوق شوقى بقدر ما بينهما من عدد السنوات !!

وقد فضل المؤلف قصيدة خليل مطران على قصيدة حافظ إبراهيم فى رثاء البارودى ، وهى القصيدة المشهورة التى مطلعها :

ردوا على بيانى بعد محمود   إنى عييتُ وأعيا الشعر مجهودى

بسبب بيت واحد فى قصيدة مطران هو :

على الشمس أن تهدى المبصرين   وليس على الشمس أن تبصرا !

والبيت رائع جداً ولكن قصيدة حافظ أفضل بالرغم من أنها لا صلة بالشعر القديم ، وإن كان مطران أعظم من حافظ مع كراهيتى الشديدة تفضيل شاعر على شاعر فلكل فنان مزاياه .

ويقول المؤلف : محمود غنيم شاعر مرموق المكانة يقف فى طليعة الرعيل الأول من شعرائنا المعاصرين وليس فى بلاد العرب من لا يعترف له بذلك ! ويبدو أننى — بحق وصدق — من بلاد العجم ، لأننى لا أعترف بأن « محمود غنيم » فى طليعة الرعيل الأول من شعرائنا المعاصرين ، مع إعجابى بفنه الرفيع .

بقيت كلمة فى أسلوب صاحب الكتاب ، وقد قدمت منه نماذج كثيرة ، وهو أسلوب ناصع اللون ، واضح الجرس والرنين ، جزل سهل متين النسج ، أقرب إلى الطبع من الصنعة ، وأدنى إلى السحر من الشعر ، وإنه لسحر مبين .

أحمد أحمد العجمى

مطبعة الرسالة